ديوان

نَسَمات الصَبا

في

منظومات الصِبَا

للعاجز

جرجي شاهين عطيه

اللبناني

طبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٤

الاهداء

الى سيدي الوالد

اليك ارفعُ من نظمي ومن أدبي
ما أنتَ علّمتني في سالف الحِقَبِ
لم أبغِ في نشرهِ فخراً ولا شرفاً
فقد كفاني فخاراً أنْ غدوتَ أبي
ولستُ مدّعياً إيفا الحقوقِ بهِ
ولو بدلتُ سوادَ الحبر بالذَهَبِ
حسبي بقاؤك في دنيايَ مطّلباً
فما بقيتَ فإنّي بالغُ الأربِ

ولدك المطيع

جرجي

بسم الله الفتاح

حمدًا لمن تنظم الطبيعةُ فرائدَ ثنائهِ * ويقصر لسان البليغ عن وصف نعمائه * وبعد فهذه نبذة مما نظمته وانا لم ازل غض الصباء * حديث التطفل على موائد الأدباء * اقترح عليَّ نشرها بعض الاصدقاء الكرام فدافعت ما امكنت المُدافعة * ومانعت ما تيسرت المُمانعة * علماً مني بانها ليست مما يستحق النشر * ولا هي مما يحسن في نظر القوم ولاسيما بعد ما اشتهر من شعر نوابغ العصر * فلما لم يدعوا لي الى الاعتذار من سبيل أجبت الطلب مضطرًا وأقدمت على نشر هذا الديوان متعللاً بحلم رجال العلم والفضل ان يضربوا صفحاً عما يرونه فيه من قصور لا يأمن مثله من لم يتجاوز العشرين من سنيه وحسبي كرمهم وطيب عنصرهم شفيعاً * والله المسؤول ان يرشدنا جميعاً الى سواء السبيل * عليه نتكل وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل

﴿قال يصف لبنان ويتغزّل في محاسنه﴾

بذكراك لاذكرى حبيبٍ ومنزلِ براعةُ إهلالي وبدء تغزّلي
وارضك يالبنان قدماً هويتها ولم أهوَ ما بين الدخول فحوملِ
وحبك من قبل الفطام رضعتهُ غدا في دمي يجري الى كل مفصلِ
فانت حديثي في رواحي وغدوتي أُصوغ بك الاشمار في كل محفلِ
وانت ازاآئي حيث سرت ممثلٌ فيطربني المرأى ولو بالتخيلِ
جنوباً وشرقاً او شمالاً ومغرباً اسيرُ وذياك الخيال يلذُّ لي
عشقتك يالبنان في المهد قبل أن أطاقت مسيراً في ربوعك ارجلي
ولم يكُ معنى العشق حرّك مهجتي ولا كان لفظ العشق حرّك مِقوَلي
ولا كنت ادري ماحباك من البها الهٌ على كل الخلائق معتلِ
وأنّى لقلبي طاقةٌ ان يكون من هواك خلياً وهو ليس بجندلِ
وانت ملاذي في الخطوب وعقوتي وعوني على صرف الزمان وموئلي
وموطن احبابي ومثوى عشيرتي وآلي ومن اضحى عليهم مُعوّلي
ولي في ثراك الطاهر الطيّب الشذا جدودٌ عليهم رحمة الواحد العلي
فيا ترب لبنان الذي كم اتيتهُ وقاراً واجلالاً أُقبّل ما بلي
سقاك الحيا ياخير تربٍ مباركٍ وحياك مزن العارض المتهللِ

ولا زلت للإسعاد واليمن منبتاً ينال بك الراجون ابعدَ مأملِ

. . . .

لك الله يالبنان طوداً ممنعاً تعزُّ مراقيه على المتوقلِ
امامك بحر الروم يبدو لناظرٍ صفائحهُ مصقولةٌ كالسجنجلِ
غدا لك عند الاخمصين مراقباً بمقلته الزرقاء دون تغفلِ
يرى قدرك العالي وراسك شامخاً وليس الى ما نلتهُ من توصلِ
فيلظى و يرغي مزبداً و يعجُّ من أوارٍ وفي أحشائه ايُّ مرجلِ
وتندفع الأمواج منهُ هوائجاً كجيش غزاةٍ يبتغي فتح معقلِ
فتصدمها منك الصخور بشدّةٍ فترجع عنها رجعة المتذللِ
و يا طالما كرّت عليك جحافلٌ فأهلكت منها جحفلاً بعد جحفلِ
وكم نزلت قدماً عليك نوازلٌ فبددت منها آخراً إثرَ أوّلِ

. . . .

فيا لك من طودٍ منيع مظفرٍ بأجمل اثواب البياض مسربلِ
فراسك (صنينٌ) بثلج مكللٌ كرأس مليكٍ بالنضار مكللِ
إزاءهُ (فم الميزاب) يبدو كاشيبٍ «كبيرِ أُناسٍ في بجادٍ مزملِ»

. . . .

وارزك تمثال العصور التي مضت أراهُ سيبقى للعصور التي تلي
به تدهش الابصار من كل ناظرٍ وتعجب منهُ فطنةُ المتأملِ

فكم دولةٍ قد عاصرتهُ فأدبرت وظلَّ على رغم النوائب يعتلي
يعيد لنا ذكر القديم ممالكاً وغرَّ ملوكٍ بالحديث المسلسلِ
فمنهُ سليمان المعظم سالفاً لربِّ البرايا زان افضل هيكلِ
فمات سليمانٌ وهيكلهُ عفا ولكنَّ هذا الارز لم يتحوَّلِ
وما زال حتى اليوم غير مغيرٍ يحدّث عنهُ بالبيان المفصلِ

. . . .

وسبحان من اجرى ينابيعك التي يصحُّ بها المضنى ويشفى مَنِ ابتُلي
كوائرُ تجري في جنانٍ خصيبةٍ فتحكي «سلافاً من رحيقٍ مفلفلِ»
غدت كالأفاعي الصم منسابةً على أديم الفيافي جدولاً اثرَ جدولِ
فياحبذا (نهر الصفا) عندما صفا فكان لاخوان الصفا خير موئلِ
وياحبذا ما فاض من (لبنٍ) لنا ومن (عسلٍ) من دونهِ كلُّ سلسلِ
وياحبذا يومٌ (الظبيةِ) رائقاً «ولا حبذا يومٌ بدارة جلجلِ»
وقفت على اكنافهـا متنشقاً «نسيم الصباجاءت بريّا القرنفلِ»
وقد برزت تلك الظبية تزدري ظبيّات عسفانٍ وآرام يذبلِ
لها من غرارِ الماء عقد لآلىءٍ على جيدها الفضيِّ من دونهِ الحلي
فما لذة الدنيا برشف رضابها نفاس ومهما قلت في وصفها قلِ

. . . .

أخيَّ اطَّرح ذكر العذيب وبارقٍ ونجدٍ ودع جرعاء حومة جندلِ

وعرّج الى لبنان تنسَ جميع ما تعشقت من اهلٍ ونادٍ ومنزلِ
هو الانس والعيش الرغيد مجسماً فما شئتَ عن نعمائهِ فتمثلِ
لقد خصه المولى الكريم مواهباً سواه اليها ليس بالمتوصلِ
فمآءٌ زلالٌ ينعش القلب وِرده به لذوي الاسقام اعذب منهلِ
يسيل لجيناً فوق درٍّ من الحصى فيسقي رياضاً كالعرائس تنجلي
وعرف نسيم يبعث البشر في الحشا وينفي جيوش الهمّ عن كلّ مثقلِ
اذا ماجرى بين الرياض تحرّكت افانينها ثمَّ انحنت بتذللِ
فقامت عليها الصادحات شوادياً بأنغامها من عندليبٍ وبلبلِ
تجلي عن القلب الحزين كروبه وتشكر جود الخالق المتفضلِ
الى هذه الارجاء يا راجي الهنا تحمل وفي هذي المواطن فانزلِ
فتحيا بعيداً عن شقاءٍ ومحنةٍ وتبقى عن الغمّ المذيب بمعزلِ
وترتع في اكنافِ امنٍ وراحةٍ بظلِّ مليك الخافقين المبجلِ
من اختصه بالجمّ من حسناتهِ ومنَّ عليهِ بالنظام المفضلِ
فضاءت شموس السعد فوق هضابهِ وراح ظلام الجهل والبطل ينجلي
أدام إلهي في حمى سيد الورى للبنان صفواً ليس بالمتحوّلِ
وابقاه منصوراً فيشدو مردّداً له الحمد بعد الله كلَّ مرتلِ

. . . .

وقال في اوائل نظمه يصف المخترعات العصرية

أما لأبي البرية ان يُعادا ... فينظر كيف هذا الكون عادا
ويبصر من بدائعه اموراً ... محيّرة برونقها العبادا
سقى غيث الرضى واليمن عصراً ... سقانا من مسرّته العهادا
نأى جيش الغباوة عن حماهُ ... وبات العلم مرتفعاً عمادا
بهِ اضحى القطار يسير توّاً ... ويخترق المهامه والوهادا
ويذهب كالنعامة في الفيافي ... وقد وَلي البخار لهُ قيادا
اذا ما سار خلناه براقاً ... يكاد يُنيلنا السبع الشدادا
وقد ملأ الفضاء له صفيرٌ ... يرنّ به ويزداد امتدادا
تراه وهو يلوي كالافاعي ... ويعصف مثلما تُوري الزنادا
يخفف عن رواحلنا عناءً ... ويكفيها التنقل والجهادا
وقد حاكتهُ في اللُجَج الجواري ... اذا غدت البحار لها مهادا
تشق عبابها ابداً وتسعى ... مقرِّبة لراكبها البعادا
وما غير البخار لها دليلٌ ... يسير بها حثيثاً واتّئادا
فليس يصيب من فيها كلالٌ ... ولا يشكو التألُّم والسهادا
كذاك البرق اصبح للبرايا ... لساناً ينقلون به المرادا
اذا ما بات يومض في مكانٍ ... وجدت ضياءهُ جاب البلادا
يخاطب فيه بعض الناس بعضاً ... كما شاؤوا ثباتٍ ام أُحادا

فواعجبي لبرق دون رعدٍ   كساعٍ طاف في الارض ارتيادا
وفعل الكهرباء فقد تسامى   وسطوتها التي ليست تُعادى
اذا ما رامت السفن اجتماعاً   تفرّقها فتنثرها بدادا
وان هي اضرمت نار الرزايا   أبادتها فخلّتها رمادا
ترى انوارها تحكي نجوماً   اذا انتشرت ثُناء او فرادى
تجلّي للنواظر ما توارى   وتُضحك من غرابتها الجمادا
ويحسبها مشاهدها حبالاً   تُريد لظلمة الليل اصطيادا
بنو هذا الزمان لهم فنونٌ   بها امتازوا على السلف اجتهادا
فلو نظر الاوائل ما اتاهُ   افاضل عصرنا فقدوا الرشادا
عنا لذكائهم صعب القضايا   ولم يكُ يرتضي الأ عنادا
وما زالوا بهذا الدهر حتى   أطاعهمُ ولم يأبَ انقيادا
فصادوا الصوت في قفص كطير   ولم اعهد بصوتٍ ان يُصادا
وصاروا يرسمون لِمَا توارى   عن الابصار رسماً مستجادا
اذا القوا اشعتهم ابانت   بواطنه وقد حفظوا الودادا
فليسوا خارقين له حجاباً   يُعدُّ له صِواناً او عتادا
وكم ركبوا البحار فما ثنتهم   ولا راع الزمان لهم فؤادا
وكم قاسوا مخاطرها وقاسوا   لها عُمقاً ولم يبدوا اعتدادا
وخاضوها باقدامٍ وعزمٍ   لكشف عوالمٍ حجبت بعادا

وكم حسدوا الطير فنافسوها مُسابقةً وجارَوْها طِرادا
فنالوا السبق في مضمار جوٍّ ولكن بعد ان وطئوا القتادا
اذا المُنطاد أُرسل في الاعالي فأوغل في مَراقيها انطيادا
اقام به الرجال ولو ارادوا هجوعاً لاغتدى لهمُ وسادا
وبات الى عنان الافق يرقى كما اطلقت في الشوط الجيادا
فيصعد للفضاء براكبيه كما اعليت بالكف الصِعادا
الى ان يدركوا امداً قصيّاً بهِ غصن المسرة قد تهادى
فلا هم يسمعون نداء حيٍّ ولا يأتي كلامهمُ المُنادى
الى حيث الهواء غدا لطيفاً فاصبح جونا منه بُرادا
هنالك ينظرون الارض تحلو هدوءاً تحتهم والصمت سادا
ووجه البحر رَهْواً ذا سكون ولين ليس يهتزُّ ارتعادا
كأنّهمُ اتوا من بعد يومٍ به الدنيا الى حشر تنادى
تحوّل روضها قفراً خلياً وامسى حيها الزاهي جمادا
وما المنطاد في ما قد حواهُ من الاتقان قد حاز انفرادا
فارباب النهى جاؤُوا فعالاً عليها صيّب الابداع جادا
وفي رصد الكواكب اتحفونا بآلات بها العلم استفادا
بدائع لو بدت قدماً لكعبٍ لهام بحسنها وسلا سُعادا
مجاهرُهم توضّح كل خافٍ وان يكُ في التنائي قد تمادى

صغارٌ كبرت شهباً صغاراً وادنت كلّ ما احتجب ابتعادا
خليلي قم اذا اتت الدياجي وأولت لمّة الافق اسودادا
وارخت فوق دنيانا جناحاً يُظللها فيلبسها حدادا
وسر نحو المراصد كي تجلّي غمومك فالعنا يمسي مُبادا
ترى في القبة الزرقا اموراً من الإغراب قد لبست بجادا
يقصّر ابلغ الاقلام عنها ولو تخذ الغمامَ لهُ مدادا
ويحلو ان تصاغ لها القوافي وان تسلو نواظرك الرقادا
فتلهج ناطقاً بثناء مولًى قدير لا نعدُّ لهُ عِدادا
بحكمته برا كل البرايا وفي تكوينها طرًّا أجادا
واعطى المرء ادراكاً وعقلاً يميّزهُ واكسبهُ رشادا
يفوز به على اقصى الاماني ويبلغ ان تأنّى ما ارادا
فهبنا العون يا مُولي العطايا وألهِمنا الحقيقة والسدادا

******

وقال يمدح حضرة صاحب العطوفة رشيد بك افندي والي ولاية بيروت ويهنئه بالولاية وذلك عند زيارته المدرسة التي كان الناظم تلميذاً فيها

ألا اهنأ ايها الصرح المشيدُ فقد حلت بساحتك السعودُ
وقد نلت المنى والفخر لما تجلى فوقك القمر السعيدُ

كريم النفس من اصلٍ نبيلٍ رفيع القدر مقدامٌ فريدُ
غدا بالحزم مزدان السجايا وزين حزمهُ رايٌ سديدُ
به بيروت قد تاهت و باهت وصوب العدل بات بها يجودُ
فازهر روضها وزها جمالاً كما يخضرّ بعد اليبس عودُ
ألا يا صاحبي لذ في حماها تجدْ ان الصفاء بها يزيدُ
تجدْها قد زهت بالبشر لما تولى امرها الوالي الرشيدُ
همامٌ قد علا بين البرايا وطاب بذكرهِ العصر الجديدُ
مآثرهُ تحاكي الشهب حسناً ولكن ما لها ابداً خمودُ
بجملة فضلهُ علمٌ وفهمٌ ومن اوصافهِ ادبٌ وجودُ
ايا من فيه احرزنا الاماني كما رقصت بطلعته الكبودُ
لقد شرّفت هذي الدار لطفاً فكادت من مسرتها تميدُ
فدم في ظل سلطانٍ لديه طريف المجد يعنو والتليدُ
مليكٌ يملأ الاقطار قسطاً وترتع حول مجثمهِ الاسودُ
هلالٌ في سما عثمان بادٍ قد ازدانت بطلعتهِ البنودُ
رأى لك مكرماتٍ قد تسامت بفرض ثنائها كلٌّ يُشيدُ
فزفّ لك الولاية ذات خدرٍ عليها من محاسنها برودُ
لتسلك بالعدالة في الرعايا كما يبغي وتفعل ما يريدُ
لذا نهدي لانفسنا التهاني بشخصك ايها المولى المجيدُ

رأيت على اسمك السامي سمات حسانًا عن مُسَمّاهُ تفيدُ
بك اجتمع النهى والرشد حقاً ولاح العلم والعزم الشديدُ
فلا برح الزمان لديك عبداً وانت لاهلهِ ابداً تسودُ
ولا زال المليك اليف نصرٍ ودام حليفهُ العيش الرغيدُ

******

وقال في مثل ذلك لصاحب الدولة نعوم باشا المتصرف السابق وكان قد حاز الوسام العثماني الاول

أَلا ايها الصرح الذي تاه من فخرِ ليهنك ما احرزت من رفعة القدرِ
ويا معهد العلم الرفيع مناره لك الله روضاً بات مبتسم الثغرِ
لك الله من أُفقٍ بهِ قد تألقت نجوم الهنا لما غدا مطلع البدرِ
لقد نلت هذا اليوم اكرمَ بغيةٍ فاكرِم بهِ يوماً نُفَدّيهِ بالدهرِ
نهارٌ توسمنا بطلعتهِ الرضي مذِ انبلجت منهُ لنا غرّة الفجرِ
رأينا شموس السعد فيهِ مضيئةً على ارضنا تلقي سهاماً من التبرِ
ووُرق الصفا في روضة العز صدَّحاً ترَجّع في انغامها اطيب البشرِ
بشائر يمنٍ قد أمالت ربوعنا سكارى ولم تُعهَد بها خلة السكرِ
وما هزّها الألقاء اخي عُلىً همامٍ عظيم شأنهُ شائع الذكرِ
اتاها الوزير الباهرُ الراي والحجى اميرُ الكمال النافذ النهي والامرِ
ايا فرعَ دوح المجد والمفرد الذي مناقبهُ الغراء جلّت عن الحصرِ

بوفدك هذي الدار حازت مكانةً   بها قد سمت تيهاً على الانجم الزهرِ
ولو ملكت نُطقاً لأبدت ثناءها   وقامت تؤدّي واجب الحمد والشكرِ
ولكن لسان الحال افصح ناطق   لديك وهذا الصمت ابلغ من عذرِ
أخِذن المعالي ان مدحك واجبٌ   ولسنا نُوَفّيهِ بنظم ولا نثرِ
رأيناك بحراً حاوياً دُرَر النهى   فقمنا واهديناكم دُرَر الشعرِ
توليت في لبنانَ فاخضلَّ دوحهُ   كما يرتوي يَبَسٌ من الارض بالقطرِ
واصبحت فوق الطود طوداً وانما   مكارمك الغراء اصبحنَ كالبحرِ
وحسبك يامن قد تبدّى خلوصهُ   لعرش بني عثمانَ في السرّ والجهرِ
وسامٌ الى عثمان مثلك ينتمي   أتاكَ فلم نُنزِلهُ الّا على الصدرِ
فلا زال انعام المليك موجهاً   اليك وصوب الفضل من كفهِ يجري
امير الملا عبد الحميد الذي بهِ   تهللت الدنيا وضاءت سما العصرِ
ادام الهي شخصهُ السامي الذرى   محاطاً باجناد السعود مدى الدهرِ
ولا برح الفوز المبين منظّماً   شتات البرايا تحت رايتهِ الحمرِ
وحظك منه كل يوم كرامةٌ   ونعمى بها تزداد فخراً على فخرِ

—✻✻✻✻✻—

وقال يرثي المرحوم سليم بك الطرابلسي امير الاي الجند اللبناني السابق

حتى مَ نلهو والمنيـة تُنذِرُ   والى مَ نرقد والليالي تسهرُ

ونجدّ في طلب المفاخر والعلى ... ومصائب الدنيا تجدّ وتكثرُ
نرجو الصفاء من الزمان وكاسهُ ... في كل آنٍ لم تزل تتكدّرُ
وعلى اساس الوهم جهلاً نبتني ... صرح المطامع والخطوبُ تدمّرُ
سيف الحمام على الانام مجرّدٌ ... يُردي الصغير وليس ينجو الاكبرُ
وبكل يومٍ للمنيــة وقعةٌ ... تدعو بنا يا ايها الناس احذروا
والهفتاهُ على سليم مناقبٍ ... كانت رياضاً بالعوارف تزهرُ
ولّى وغادر في المرابع بعدهُ ... مُهجاً تذوب واكبداً تتفطّرُ
ذهب الذي كانت تلوذ ببابهِ ... غرُّ الفضائل ترتجيهِ فتنصرُ
ظفرت بهِ ذا اليوم اظفار البلى ... وكم انبرى يثني العداة ويظفرُ
فلفقدهِ شمل الغموم منظمٌ ... وببعدهِ درّ الدموع منثّرُ
(هذا الذي قاد الجنود بخبرةٍ ... عنها الحقيقة كل يوم تخبرُ)
وحمى حِمى لبنان من اعدائهُ إذ ... اضحى يدرّب جندهُ ويدبرُ
عبثت بهِ ايدي المنون فلم تفدْ ... شمُّ الحصون ولا وقاه العسكرُ
قد كان فيهِ لكل عافٍ موردٌ ... يحلو ومنهُ لكلّ خيرٍ مصدرُ
ولطالما أبدى من الافعال ما ... يُثنى عليه مدى الزمان ويشكرُ
فقدت به الاوطان رب بسالةٍ ... مشهورةٍ ووقائعٍ لا تنكرُ
تلك الايادي البيض قد حتمت بان ... يجري عليه اليوم دمعٌ احمرُ
ومصابهُ عمّ الجميع فكم بهِ ... طرفٌ يفيض وانفسٌ تتحسرُ

صبراً ذويهِ فقد جرى حكم القضا   حتماً وليس لكم سوى ان تصبروا
فالنكبة الكبرى تصيب ذوي العلى   ويصاب بالخطب الصغير الاصغر
فتمسكوا يا آلهُ آل الحجى   بعرى التجلد فالتجلد أجدرُ
ان الصروفَ وان تعاظم شرّها   بالحزم والتقوى تهون وتصغرُ
والمرء ليس سوى خيالٍ زائلٍ   يأتي وفي زمنٍ قليلٍ يعبرُ
ان يدرك الجسد الفناء فانهُ   عرضٌ واما النفس فهي الجوهرُ
هذا الفقيد قضى وخلّف بعدهُ   ذكراً على صحف القلوب يُسطَّرُ
لم تتلُ افواهُ الملا أعمالهُ   الا غدت بعبيرها تتعطرُ
يا صاحب السيف الذي لفعالهِ   اثرٌ سيبقى ما تمرّ الادهرُ
كم قام من فوق المناكب خاطباً   آياتك الحسنى وكفك منبرُ
يا ابن الطرابلسيّ بت بحفرةٍ   من فوقها سحب المراحم تمطرُ
جارت عليك يد الزمان بغدرها   ولكم عبثت بها ولم تكُ تغدر
قد قلت للباكين حولك نهنهوا   يا قوم ادمعكم ولا تتحسروا
فلقد مضى والموت ارّخ دائمٌ   وثوى سليماً بالسما فاستبشروا

١٨٩٧

ووقع في شتاء سنة ١٨٩٧ ثلجٌ غزير غطى هضاب لبنان ووهادهُ بما لم يسبق لهُ مثيل . وخرج القطار الحديدي من بيروت يريد دمشق فلما انتهى الى المحلّ المعروف (بظهر البيدر)

غطت ركام الثلج معابرهُ وسدَّت طريقهُ من امام ومن وراء · ولو لم تنفذ الحكومة اللبنانية حضرة الهمام الباسل عزتلو ملحم بك ابي شقرا امير الاي الجند مع نفر من العساكر لانقاذ من في القطار لقضي عليهم · فقال يمدح الامير الاي المذكور ويذكر لهُ هذه المأثرة

اميرَ جنود لبنان المفدَّى ... بقيت تزيد اقبالاً وسعدا
لشخصك يارفيع الشان ذكرٌ ... يجوب ربوعنا غوراً ونجدا
خرقت هضابها والثلج يهمي ... وينسج فوق تلك الارض بُرْدا
وقد عصفت رياح الجوّ فيها ... واورى البرق في الآفاق زندا
فسرتَ ببهمة شماءَ حاكت ... ربى لبنان منزلةً ومجدا
وحولك من ضياغمهِ كماةٌ ... بواسلُ لم تخف الدهر جندا
ولم تحذر من البلوى صروفاً ... ولم ترهب من الايام أعدا
مضيت بامرِ (نعومٍ) حثيثاً ... لانجاد القطار تجدّ جدًّا
وقد حفت بهِ اطوادُ ثلجٍ ... فسدَّت عنهُ كلَّ السبل سدًّا
ولو لم تأتهِ من دون بطء ... لكان لمن حواهُ الحتف وِردا
أخا العلياء فعلك قد تسامى ... وضاع ثناؤه مسكا وندًّا
نُسطِّر فيهِ آيات المعاني ... وننظم من جمان الشكر عقدا
فدمت بافق هذا العصر بدراً ... وبين ذوي النهى والفضل فردا

ولا وضعت لك النكبات قدراً　　ولا خفضت لك الايام بندا

وقال يهنئ المثلث الرحمات المطران غفر بل مطران بيروت السابق بشفائهِ من مرض كان قد ألمَّ بهِ وبعودهِ الى بيروت من بعض أنحاء لبنان وكان الناظم عندئذٍ تلميذاً في مدرستهِ

راى الدهر ما قد سامنا البين والهجرُ　　فزف لنا عذراً وقد قُبل العذرُ
ومنَّ بما كانت اليهِ نفوسنا　　تتوق فلا اثمٌ عليهِ ولا وِزرُ
حبانا بيومٍ فيهِ قرَّت عيوننا　　واضحت ثغور السعد والانس تفترُّ
نهارٌ بهِ وُرقُ الامانيِّ غرَّدت　　وافق المعالي قد اضاء بهِ البدرُ
ورُسل التهاني قد جلت كل كربةٍ　　وقامت تنادي انهُ قدُم الحبرُ
امامٌ باثواب الهدى متجملٌ　　ومجمل ما فيهِ الطهارة والبرُّ
هو السيد الشهم الذي زانهُ الحجى　　كما زانت العليا مناقبهُ الغرُّ
قضى زمناً في نأْينا متعهداً　　شؤُون رعاياه يحفُّ بهِ النصرُ
فقوَّمَ منها كلَّ ما آَدَ جامعاً　　شتات النهى والحزم فانتظم الامرُ
ولم يأْلُ جهداً قط في رأْب صدعها　　وفي خير اصلاح يشدُّ بهِ الازرُ
ولكن دهتهُ بعد فرط اعتنائهِ　　جيوش سقامٍ عنه قد ردها الصبرُ
فكم أودع الآذان من كلماتهِ　　شنوفاً وابدى كيف ينتثر الدرُّ
وكم فلَّ عن تلك الجموع مصائباً　　وبدَّد عن ارجائهم نوباً تعرو

وكم عاد من مرضى بهِ احرزوا الشفا   وكم زار ايتاماً بهِ زارهم يُسْرُ
فساغ لهم في قربهِ مورد الصفا   وكان لنا من بعدهِ الشوق والحزنُ
وما غاب حتى هال بيروت بعدهُ   ولكنَّ لبناناً تسنّى لهُ الفخرُ
أقام بهِ من تزدهي بسنائهِ   رجال التقى والدين فهو لهم ذخرُ
ولو كان يدري ذا الاوان بعودهِ   لما ذُرَّ في اغصان ادواحهِ زَهرُ
لئن يكُ تاج الثلج كل هامهُ   ففي طيّ احشاهُ قد اتّقد الجمرُ
فيا بيعة الله العليِّ تهللي   لانكِ نلتِ اليوم ما لم ينل قطرُ
وقد رجع الراعي الامين الذي حوى   خلالاً واوصافاً بها اعتلنَ الطهرُ
رئيسكِ غفريل المكرَّم والذي   لهُ بكِ اعمالٌ لها في الملا ذكرُ
هو النجم لكن لا أفولَ يشينهُ   هوَ اليمُّ لكن ما لهُ ابداً جزرُ
تلاقى بهِ أسمى المزايا وخيرُها   فمن عزمهِ طودٌ ومن بذلهِ بحرُ
مآثرهُ البيضاءُ فيكِ جليةٌ   فان تنسكِ الاعوام نبهكِ الصخرُ
ويا ايها الحبر الذي حلَّ رتبةً   من الفضل قد خرَّت لها الانجم الزهرُ
باي مقامٍ لا نراكَ مقدَّماً   واي كلامٍ فيهِ يوفى لك الشكرُ
هناؤك شطرين اغتدى متجزئاً   فلي منهُ شطرٌ والجميع لهم شطرُ
ولست بخاشٍ في مقالي معارضاً   ألا وهو الصبح الذي ما لهُ نكرُ
ألا ولقد ابلات من دائك الذي   بهِ حارت الالباب وارتبك الفكرُ
فقد أُبت يا شمس الصلاح فاشرقت   علينا شموس السعد وابتسم الثغرُ

وعودك قد أولى الكنيسة بهجةً معيداً لها ما كان قد سلب الهجرُ
نصوغ له أبهى اللآلي قلائداً فقد قلَّ فينا أن يصاغ له الشعرُ
فعش بالهنا يا مصدر اليمن والمنى فتزهو لنا الدنيا ويصفو لنا الدهرُ
ولا زلت مزداناً ببرد العلاء ما تزين منا باسمك النظم والنثرُ

وقال يرثيه عند وفاته

قل للكنائس بعد غفريل ارتدي ثوب الحداد وللمراثي ردّدي
وادعُ الرعية ان تؤبن راعياً ما قام فيها مثلهُ من سيدِ
مات الرئيس فيا بنيه تأسفوا وقضى التقيُّ فيا طهارةُ عدّدي
مات الذي احيا بسيرتهِ التقى . والترب حجَّب نور ذاك الفرقدِ
من لم يمد لفعل محرمةٍ يداً قد بات طيَّ الرمس مغلول اليدِ
من لم يكن في دهرهِ متعدياً امسى عليهِ الدهر اول معتدي
من كان فيه كل يومٍ ابيضاً أودى الحمام بهِ بيومٍ اسودِ
اسفاً على تلك الخصال وذلك الصدر الرحيب وذاك الوجه الندي
اسفاً على القلب النقيّ كأنهُ المآء الزلال وعمرهُ لم يحقدِ
اسفاً على الخلق الرضي ومنطقٍ قد كان يزري لفظه بالعسجدِ
فقدت بهِ الاوطان حبراً كاملاً والى سبيل الخير افضل مرشدِ
تبكي المعابد بعده حزناً فقد رُزِئت باطهر اسقفٍ متعبدِ

والمكرماتُ وار بعُ الآداب قد ناحت على شخص الصلاح المفرد
يا ايها الحبرُ الذي لو يفتدى كنا بانفسنا نجود ونفتدي
يبكي فراقك معهدُ العلم الذي شيدته والمف ذاك المعهد
نادٍ وردت بهِ لنيل معارفٍ في ظلك الممدود احسن مورد
فاذا بكيتك او رثيت فانما ابكي على سندي وارثي منجدي
يا راحلاً قلَّ البكا لرحيلهِ ومصابهُ ادمى فؤاد الجلمد
اصبحت في كنف العليِّ معزّزاً رغداً واصبحنا بعيشٍ انكد
فارتع بدار الخلد مرفوع الذرى وانعم بذكرٍ في الطروس مخلد
وعلى ثراك تحيةٌ من خالقي وهواطل النعمى تروح وتغتدي

وقال مهنئاً سيادة المطران يوسف الدبس بيوبيلهِ الفضي سنة ١٨٩٧

ايفاء مدحك منتهى ما نطلب فلئن نضق ذرعاً فعفوك ارحبُ
ولئن عجزنا عن ثنائك فهو لا يخفى ومثلك ليس ممن يعتبُ
يا كوكباً في الشرق مطلعهُ ولم يرَ في سوى الافلاك قبلاً كوكبُ
ليس الغروب يصيب نورك انما لم يخلُ من نفحات ذكرك مغربُ
ذكرٌ تردَّدُ فيهِ خير شمائلٍ منها يفوح لنا العبير الطيبُ

ومناقب لك في الملا اشتهرت وقد　　صارت بها الامثال دوماً تضربُ
ما شاب قط خلالك الغرّاء من　　عُجْبٍ ولكن حسن فعلك مُعْجِبُ
إن أعْجَبَتْ مصرٌ بفطنة يوسفٍ　　فبفرط حذقك كل مصر تعجبُ
واذا انتسبت الى المكارم والعلي　　فاليك انواع المحامد تُنسَبُ
لقد ازدهت ببديع صنعك امةٌ　　قد احرزت بك جلّ ما تتطلبُ
اذ قمت فيها ربع قرنٍ اسقفاً　　ما بيننا فغدت بحزمك تطربُ
عرفتك ثمَّة ذخر كل فضيلةٍ　　فاقت ومورد نعمةٍ لا ينضبُ
ومقرّ كل بجيــةٍ مشكورةٍ　　وابًا لمن امسى وليس له اب
يا بدر تقوى ليس يخسف بل بهِ　　يجلى العناء وكل يمنٍ يجلبُ
وخضمّ فضلٍ ليس في امواههِ　　كدرٌ ولا جزرٌ اليهِ يقربُ
فكم التقطنا من هداك جواهرا　　مذ جئت ترشد بالمقال وتخطبُ
ولكم غرست رياض علمٍ اينعت　　ثمراتها وبهـا العقول تهذبُ
تشفي الأوام بها مناهل حكمةٍ　　وهي التي اضحت تروق وتعذبُ
فاهنأ بما أحيا لك الوطن الذي　　احييتهُ بمـآثرٍ لا تحجبُ
تلك المبرّات التي ضحت على　　صحف الطهارة والنزاهة تُكتبُ
فالبشر اشرق من سماء لانس في　　يوبيلك الاسنى فزال الغيهبُ
يومٌ بهِ منّ الزمان لنا فلم　　نمسك عليهِ الصفح عما يذنبُ
فذنوبهُ ولئن تكاثر عدّهـا　　تُمحى برايك ذي المضاء وتُغلبُ

فلكم تبدد فيه ارزاءٌ وكم شعثٍ لممت بهِ وصدع ٍ ترأبُ
هذا غام الخمس والعشرين من زمنٍ سقاهُ من نوالك صيبُ
وعسى تكرّ عليك اضعافٌ لها وبحلة العلياء انت مجلببُ
فنجوم عزك ليس تأفل ما بدا قمرٌ وشمس سعودكم لا تغربُ

وقال يهنئ غبطة الحبر المفضال السيد ملاتيوس
بطريرك انطاكية العظمى وسائر المشرق بارتقائه
الى الكرسي البطريركي المقدس والسادة
المطارنة الاجلاء بفوزهم بانتخاب
بطريرك وطني

ذو الحزم يسمو والمهيمن ينصرُ اهل الفضيلة والعدالةُ تظفرُ
والبطل يمحق باسهِ جيشُ المدى والبغي يمحوهُ العليُّ ويقهرُ
لم تسطُ كفّ البغي بين جماعةٍ إلّا بسيف الحق عادت تبترُ
والحق مثل الشمس في فلك العلى انواره بالحجب ليست تسترُ
فاذا توارى تحت سحب غوايةٍ مهلاً تراهُ بعد حين يسفرُ
كانت سماء الشرق حالكة الدجى واليوم اشرق أُفقها المتكدرُ
فلقد نأى عنها الظلامُ مبدداً مذ قد تألقَ في علاها النيرُ
بشراً بني الوطن الكرام ففوزكم اضحى على صحف الدهور يسطرُ

فوزان فوزٌ بالمقام ومثلهُ   بعظيم شان فضلهُ لا ينكرُ
علم السيادة الكرامة والتقى   بثناه اقطار البلاد تعطَّرُ
برٌّ كأنَّ لهُ الطهارةَ بردةٌ   سمحٌ كأنَّ لهُ المحامدَ عنصرُ
هذا امام الحق رافع شأنه   مولى الكمال ملانيوس الأطهرُ
شخص الفضيلة والصلاح كأنَّهُ   من طينة اللطف البديع مصوَّرُ
هذا هو الراعي الامين لوفدهِ   مُرّ القطيع وقد بدا يستبشرُ
وكذا الخراف تطيع راعيها اذا   كانت لديه ومن سواهُ تنفرُ
يا سيد الاحبار يا من لفظهُ   في يوم إلقاء المواعظ جوهرُ
بسناك قرّت عين شعبك مثلما   أمست به مقل الحواسد تبهرُ
طربت بطلعتك الرعية فاغتدى   عن وصف بهجتها اليراع يقصّرُ
لله يوم سدت فيه واقبلت   رسل التهانيء للأنام تبشّرُ
فمظاهرٌ للسعد ما بين الملا   كثرت وآمالٌ بشخصك اكثرُ
ما منتهى تشرين الا اولٌ   لجديد عصرٍ فيه دهرك يفخرُ
رُفعت اليكَ عصا الرعاية ارخوا   فيه وحلت في يمينك تثمرُ

١٨٩٩

من حبرنا غفريل نبراس الحجى   زُفت اليك برونق لا يُستَرُ
ركن الفضيلة صاحب التقوى الذي   عرفت مناقبه الحسانَ الادهرُ
اهدى عصا موسى اليك فغار مذ   اهداكها بحر الدموع الأحمرُ

والسوف تزهر في يديك نظير ما ... يد النبي الحبر كانت تزهر
فانصر بها الدين القويم وانه ... بثباته بين الملا يستظهر
وانشر بنود العلم فوق صروحه ... فلواء مدحك في البرية ينشر
وعسى نرى فيه النجاح مشيداً ... بوطيد عزمك والتأخر يقهر
ومعاهد الآداب شامخة الذرى ... ومحافل العلم المفيدة تعمر
ولانت ذو الحزم الذي قد اصبحت ... بمديحه ارجاؤنا تتعطر
ولك العزائم وهي شم رواسخ ... ومكارم عنها نقل الابحر
احبارنا ان القدير حباكم ... بحميد فوز في الاقاصي يذكر
يا اعمدة الفضلاء تلكم نصرة ... هيهات تنسى ما تمر الاعصر
نظر المهيمن منكم بجهادكم ... حزماً يعز وطول صبر يشكر
فانالكم ظفراً جليلاً لم تكن ... هذي الربوع له نظيراً تنظر
هذه نتيجة صبركم وثباتكم ... ان النجاح مرافق من يصبر
بل كيف لا تغلبون وحقكم ... بادٍ كنور الصبح بل هو اظهر
لم تطلبوا غير الحقوق وملكنا ... عبد الحميد لها النصير الاكبر
ملك تهاب قضاءه اسد الشرى ... ويذل من سطواته المتجبر
ملك كأن له ملائكة العلى ... حرس واحكام المهيمن عسكر
قد عم أبناء البسيطة فضله ... وبعدله رسل الحقائق تخبر
ليست مناهل امنه تحمى ولا ... نار المظالم في ذراه تسعر

دار الجميع على رضاهُ فنما   لقلوبهم طرًّا رضاهُ محوَر
يفدي المليكَ عبيدهُ من ملةٍ   تسمو علاءً في حماهُ وتفخر
لوّاذةٍ شرفًا بوارف ظلهِ   عن وِرْدطاعة حكمهِ لاتصدر
قد عمها بهباتهِ وهو الذي   برضاهُ فاز إمامها المتصدّر
ألسيد السند المعظم والذي   اضحى عليها في النوائب يسهر
فأهناء بما اوليت يا علم الهدى   من منّةٍ فهو الهناء الاكبر
واَسلمْ لمنصبك الخطير فانه   بمقامك السامي يليق ويجدر
لا زلت في رَغدٍ به طول المدى   وشذا فمالك للنوادي ينشر

١٨٩٩   ١٨٩٩

وقال في فضيلة ❋ المحبة ❋

لعمرك ما السعادة للشعوبِ   سوى حُبٍّ يوطّد في القلوبِ
ولوجمع الانام على وئامٍ   لما عرفوا تباريح الكروبِ
ولا كان العداء يثير فيهم   مُلمّاتِ التنازُعِ والحروبِ
لهم بنظام هذا الكون هادٍ   يدلهمُ على سر عجيبِ
فلو لم يثبت الاجرام فيهِ   تجاذبها لزالت بالخطوبِ (١)
ألا انّ المحبةَ خير بردٍ   ينزه لابسيه عن العيوبِ

---

(١) اشارة الى ناموس الجاذبية في الاجرام السماوية

ونورٌ لا يداهمهُ ظلامٌ وشمسٌ لا تحجَّب بالغروبِ
لكم عمرت باهليها ديارٌ وكم شق التضاغنُ من جيوبِ
وكم نادى بها حكماء قومٍ وكم اعلى لواها من خطيبِ
وآيات الكتاب شهود حق على اعمال فادينا الحبيبِ
تجسد ماحياً عنا الخطايا بسفك دمائه فوق الصليبِ
وكل كلامه للناس حثٌ على حب المهيمن والقريبِ

. . . . . .

وليس الحبُّ وجدك والتصابي على غزلان رامة والكثيبِ
وما تخشى بهِ مُقل الاعادي وتحذر دونه لحظ الرقيبِ
ولا هو فرط شوقك للمعالي تجدُّ لنيلها جدَّ الاريبِ
تحاول من ذوي الاقدار عطفاً ولا تلوي على لهف كئيبِ
وليس اخو المحبة من تردَّى بثوب من تبرُّجهِ قشيبِ
فأوغلَ في المحارم والمناهي ومال الى التغزُّل والنسيبِ
ولا من احرز الاموال كسباً وليس من الصلاح على نصيبِ
اذا جاءت منازلهُ الندامى يلاقيهم على قدمٍ طروبِ
ويقصد بابهُ العافي فيدعو ولا يلقى هنالك من مجيبِ

. . . .

ولكنَّ المحبة ان تؤاسي اخا النُّوب الملمة والخطوب

وتعرضَ عن مساوىء من تجنى ونُنصح هادياً للمستريبِ
وفي الإحسان تجهد لا تبالي بما يومي قواك من اللغوبِ
وتذهب في البرية مستحثاً لفعل الخير كالساعي النجيبِ
وانجاد الفقير على الرزايا ونصرة كل ذي طرفٍ سكوبِ
وفتح معاهدٍ للعلم تزهو ويُطرب حسنها قلب الاديبِ
يقيم بها اليتيم وكل راجٍ لنيل الفضل من امدٍ قريبِ
فتلك ذبائح الاحسان دوماً يفوح لها عبيرٌ كالطيوب
قلائد رحمةٍ وعقود برٍ يزان بدرّها جيد اللبيبِ

. . . .

فما الدنيا لنا بمقام خلدٍ وفيها المرء ليس سوى غريبِ
وأفضل ما توخّى الناس فيها فعال البر لليوم الرهيبِ
اذا ما جاء ربك من سماه مع الاملاك بالمجد المهيبِ
يدين بعدله الآنام طراً ويقضي في القبائل والشعوبِ
فيمضي الصالحون ذوو المزايا الى الوطن السماويّ الرحيبِ
وينقلب الأولى عملوا فساداً الى النار المؤجّجة اللهيبِ
فالهمنا الحقيقة ياعليماً بمكنون السرائر والغيوبِ
وهبنا العون منك على البلايا لكي نجتاز عن وادي النحيبِ
فمنك قد ابتدأنا والتناهي اليك وانت غفّار الذنوبِ

وقال في محبة الذات

قتِل الانسان ما اجهلهُ   وعن الواجب مـا اغفلهُ

......

جهلهُ الحقَّ بريهِ حتفـهُ   ولكم ارغم يوماً انفـهُ
ما عليه ليس يوفي نصفهُ   ويقاضي ضعف مـا حقَّ لهُ

......

واذا قوضيَ حقاً شتمـا   واذا قاضى سواهُ ظلمـا
ويبيح النفس ان تفعل ما   لا يبيح الغيرَ ان يفعلهُ

......

يحسب الكلَّ لديهِ أعبُدا   وهو قد قام عليهم سيـدا
يوسع الغير افتراءً واعتـدا   واذا الغير افترى جندلَهُ

......

لا يرى في هضمهِ الناس خطا   واذا هم هضموهُ افرطـا
في التشكي واغتدى مستنبطا   حيلةً يلقى بهـا مأملَهُ

......

ليس يجري في ندًى درهمَهُ   وبفعل السوء يجري دمَهُ
في سبيل الشرّ ما اكرمَهُ   وبسُبل الخير مـا ابخلَهُ

......

عجبي للمرء مـا هذا العمى كيف لا ينحو الصراط الاقوما
يعمل المنهيَّ عنهُ وهو ما يعمل المأمورَ أن يعملهُ

وقال في ﴿فناء الدنيا﴾

كفاكم بني الحيّ ما تسرحو ن وما تمرحون وما تطربون
فهلاً افتكرتم بامر الفناء وهلاً ذكرتمُ فتك المنون
وانكمُ في الطريق التي بها سار أجدادكم سائرون
وان الحمام اذا ما سطا فلا مال يجدي ولا اقربون
تجدّون طول الحياة لكسـب النضار ألا انكم خاسرون
فليس يؤخر عنكم مهام الـقضاء النضار الذي تجمعون
وليس يجيركم الانسباء ولا الصاحبات ولا الصاحبون
الا حبذا عمل الصالحات ويانعمَ معشراً الصالحون
وسعداً لمن لم يغيظوا المهيـمن قطّ فانهمُ الفائزون

ولهُ ايضاً :

الأمّ والطفل (١)

كان ذاك الليل مُشتدّ الحلك شاملاً كل البرايا في سكون

(١) اشار بهذه القصيدة الى أم قتلت وطفلها في حادثة انهدام حصلت في بيروت ودفنت في اليوم التالي وطفلها على يدها

لم يكن الا مصابيح الفلك تتلالا وسط هاتيك الدجون

والكرى مستغرقٌ كل الانام

قد اوى كلٌّ الى مهجعه طلبَ الراحة من بعد العنا

واستراح المرء في مضجعه راقدًا بالبشر في مهد الهنا

وعيون الله يقظى لا تنام

. . . .

قامت الام اذ الطفل بكى وانامته الى جانبها

ارضعته اذ درت ما قد شكا واستمدت رافة الله بها

ثم قالت: نم ابا ابني في سلام

نم بصفو وهناء يابنيَّ يا منى روحي ويا كل الوطر

آهِ هل يكحل يومًا مقلتي ان اراك اجتزت ايام الصغر

ان هذا جلُّ قصدي والمرام

يوم القاك غلامًا يافعا زاهيًا كالبدر في وقت الكمال

ولاهلك محبًا نافعًا ولدى الاقوام محمود الخصال

صادقًا في كل فعلٍ وكلام

يومَ تغدو فائزًا بين الورى بالمعالي وبفعل المكرمات

فارى فيك هنائي الاكبرا وتهنيني جميع الأمهات

وانال العز في اعلى مقام

يا الهي احفظ بخير ولدي منميًا اياه في خير سبيل

واستمع صوتي وحقق مقصدي ايها الرحمان ذو اللطف الجزيل
انت مولي الخير والشافي السقام

ثم نامت بعد ما قد رفعت نحو باريها يديها بالصلاهْ
ايقنت أنَّ دعاها مذ دعَتْ بلغ الله الى اعلى سماهْ
وسيعطيها مناها بالتمامْ

. . . . . .

فرأت في حلمها أن ابنها واقفٌ عند شفيرِ الهاويهْ
كاد ان يسقط لولا انها ادركته ووقته الداهيهْ
وكفته الوقعَ في ايدي الحمامْ

واذا ليثٌ بدا خلفهما وهما لم يبرحا عند الشفيرْ
لم يكن منه مفرٌّ لهما لا ولا منه معينٌ او مجيرْ
حيث باتا عرضة الموت الزؤامْ

وقعا بالضنك بين الخطرين ان تولى خطر حل خطرْ
لم يكن الا باحدى الميتتين من نجاةٍ لهما او من مفر
آه كم اقلقها ذاك المنامْ

واذا برقُ حسامٍ ومضا غادر الليث على الترب صريع
ويدٌ مدَّتْ سريعاً في الفضا نحو تلك الام والطفل الوديع
قصدَ ان تهديهما دار السلامْ

ثم جاءت بها روضاً بهِ كلُّ ما يبهج مرآه البصرْ
سمعت أُذناها من قربهِ نغماتٍ لم يعوِّدْها بشرْ
قد غدت تُعزف من تحت الغمامْ

وهناك الام حلت في حبورْ لابنها بين يديها تحملُ
وعليها وعليه فاض نورٌ نورُ ذي الشمس لهُ لا يعدلُ
بل لديهِ كل نورٍ كالظلامْ

. . . . . .

سمع الاقوام صوتاً قد دوى مثل صرحٍ هدَّه خطب جليلْ
او كطودٍ من اعاليه هوى وتلاهُ صوت نوحٍ وعويلْ
وبكاء واختلاطٍ وازدحامْ

ذاك خطبٌ أوجف اليوم البلد آه ما اقسى تباريح الزمانْ
كلما قلنا سهام البين قد نفدت والقلب منها في امانْ
جددت ايدي الردى رشق السهام (١)

معشر ناموا بمصاة في حبورْ فاغتدت نومتهم للابدِ
ولهم دورهمُ صارت قبور بعد اذ كانت مقر الرغدِ
يتعاطون بها كاس المدامْ

---

(١) اشارة الى حادثة انفجار الحراقة (سهام) التي ذهبت بحياة نخبة من وجهاء بيروت

رُفعت جثة تلك الوالده وابنها من تحت تلك الرُدُم
وهي كانت ليديها عاقده حول عنق الطفل عند المأتم
ياله من مشهد يبري العظام

ايها الام التي سارت الى جنة الابرار قد نلت الارب
ومع الطفل بلغت الاملا دون أن تحتملا مرَّ النصب
في حياة ذات بؤس واغتمام

اسعد الداء ومهواة الشقا منهما نجا كما الباري الرحيم
سرعا والزاد برٌّ وتقى اقرب السبل الى دار النعيم
وبها أدركتما حسن الختام

وقال يرثي المرحوم جبران مخايل شحاده الذي قضى بعد ستة من اخوته واخواته

يالاهياً بغرور هذي الدار ان النفوس رهائنُ الاقدارِ
دار المصائب نرتجي منها الصفا ابداً ولا نلقى سوى الاكدارِ
تبدي لنا نارَ العداء خطوبها ويغرُّنا برقُ المنى لخدارِ
لايختشي الموتُ العظيمَ فكم سطا يوماً عليه بسيفه البتارِ
لوكان يرهبهُ لما جارت على جبرانه غدراً يدُ الادهارِ
يازهرةً عجل الحمام بقطفها ذبلت عليك نواضرُ الازهارِ

تبكي عليك المكرمات واهلها ... وبنو العلى وصحائف الاخبارِ
ياصاحب الشيم الكريمة والندى ... جادت ثراك هواطل الامطارِ
مَنْ بعد فقدك للوفاء وللحمى ... وسلامة الاخلاق والاطوارِ
كم قد سهرت الليل في طلب العلى ... فاليوم قد بُلّغتَ ارفعَ دارِ
بنواك فارقنا السرورُ وبُدّلت ... بالنوح فينا رنّـةُ الاوتارِ
وعيونُ صحبك قُرّحتْ اجفانها ... فلكم بكتك بدمعٍ مدرارِ
اسفي على الوجه الاَغرّ فقد خبا ... تحت التراب ضياؤه المتواري
اسفي على الفطن الذي كم حل من ... عُقَد النهى وغوامض الاسرارِ
اسفي عليه ما بدا بدر الدجى ... وعلا نواح الوُرق في الاسحارِ
مهلاً اباهُ فان خطبك شاملٌ ... شرقَ البلاد وسائر الاقطارِ
قد صرت ايوبَ الصبور بعصرنا ... لمـا رزئت بسابع الاقمارِ
فتعزَّ عنه « بالسليم » وحسبكم ... ان الفقيد بجنة الابرارِ
قد سار عن وادي الدموع مزوّداً ... خير الفعال الى رحاب الباري
فعليهِ خير تحية طول المدى ... وعلى ثراهُ مراحم الغفارِ

. . . .

وقال مؤبناً والده المرحوم مخائيل شحاده وقد توفي في سوق الغرب

ايدري الدهر ما فعلت يداه ... واي رجاله اصمى قضاهُ
واي ذوي العلاء سطا عليه ... واي عماد مكرمةٍ دهاهُ

ولو علم الردى من قد تجنى ... عليه لهالهُ خطبٌ اتاهُ
هو العَلَم الاشمُّ عليه جارت ... يد البلوى وما رهبت علاه
هو الركن الذي كنا نقاوي ... به الارزاء قد هدَّت قواهُ
دهاهُ الخطب في لبنان لهفي ... فمادَت من تفجعها رباهُ
وناح عليه اهلوها جميعاً ... كما قد ناح ثكلانٌ اباهُ
لئن بكت البلاد دماً عليه ... فكم افنى بخدمتها دماهُ
وان اذكت مصيبتهُ حشاها ... فكم اذكت محبتها حشاهُ
لقد كانت ترى بابي سليمٍ ... نصيراً لا يخيِّب من رجاهُ
وكان فخارها بابي سليمٍ ... يطول فطالما اعلى لواهُ
مضى طوعاً لأحكام المنايا ... فليت نفوسنا كانت فداهُ
مضى كالسيف يُغمَدُ في نصاب ... وكان السيف يعجب من مضاهُ
فلو كان الضريح اليوم يدري ... لتاه مفاخراً في من ثواهُ
حوى ذا اليوم نبراس المعالي ... وحجَّب بدرَها الباهي سناهُ
فوالهفي على الندب المُرَجّى ... لريب الدهر ان سلَّت ظباهُ
عليه اثارت الاحزان داءٌ ... فلا الآسي افاد ولا دواهُ
اذابت جسمه نوبٌ جسامٌ ... ولكن لم تذِب صبراً حواهُ
حكى ايوب في نوَب الليالي ... كذلك في تجلُّدهِ حكاهُ
كواكبُ سبعةٌ اقمار تمٍّ ... وشمس هدى أُغيبوا عن حماهُ

فلم يجزع وسار الى لقاهم — بلا جزع لدن ربي دعاهُ

أأبناء الطبيعة قد جهلتم — برأي لا يحق له انتباهُ

بانكار الاله قد ازدهيتم — ويعرف ما تقولون الالهُ

فسوف ينالكم منه جزاءٌ — اذا ما نال خائفه جزاهُ

يوم تجمع الآنام فيه — وتخرس في المحاسبة الشفاهُ

فلا مالٌ يفيد ولا علومٌ — سوى من كان عُدّته تقاهُ

فبالتقوى تزود من فقدنا — الى باريه ينعم في سماهُ

هنالك يلتقي من قد بكاهم — ويبلغ بالسعادة مشتهاهُ

فيغتبط الفقيد بملتقاهم — ويغتبط البنون بملتقاهُ

تعزّوا يا ذويه فقد اراكم — مثالاً في بلاياهُ عزاهُ

لأنتم خير من يبلغ المعالي — فاثبت للمكارم مُعتزاهُ

فميخائيل نادى اليه — رئيسُ جنود ربي في علاهُ

فاقبل رافلاً بثياب مجدٍ — ونال بقرب مولاه مناهُ

عليه مراحم الرحمان تترى — وغادية الرضى تسقي ثراهُ

وقال يرثي الشيخ شبلي تلحوق

يجدّ الفتى كيما يعيش مخلّدا — ويجهل أنّ العمر غايته الردى

ويرجون من الدنيا السلامة والبقا — وسيف المنايا لا يُزال مجرّدا

ألم يدرِ ان الموت حكمٌ على الورى فلا عوضاً يبغي ولا يرتضي فدى
يغادر عقد الاصدقاء منثراً ويترك شمل الاصفياء مبدّدا
ولا يختشي ليث العرين اذا سطا ولا يرهب الجم الغفير اذا اعتدى
فكم دكّ طوداً للمطامع شامخاً وقوّض صرحاً للهناء مشيّدا
وكم ثلّ عرشاً في ذرى المجد باذخاً وابعد مطلوباً وخيّب مقصدا
ايا ويل ابناء البسيطة انهم تشاوى بخمر اللهو غابوا عن الهدى
رأوا من اماني النفس في مهمه العنا سراباً فراموا منه ان ينقعوا الصدى
وأنّى لهم صفو الحياة وحولهم جيوش المنايا اوسعتهم توعّدا
تنازلهم من ذا الزمان نوازلٌ تفتت اضلاعاً وتجرح اكبدا
ومهما اتقوها فهي فاتكةٌ بهم وجهدهم في دفعها ذاهب سدى
ألمت بنا والوجناه مصيبةٌ اناخت على ركن الرجا فتأوّدا
بها الطرف امسى ساهراً يرقب السهى وينثر فوق الخد دمعاً منضّدا
ألا ان ريب الدهر كرّ على الذي به كان هذا الدهر يزهو مؤيداً
وغال همامًا عالي الشان كاملاً فغادر منا الجنب ملقى على المدى
الا انه اودى بخير رجاله فابكى عيون الحزم والعزم والندى
بمن لم يرِدْ إلا الاباء مزيةً ومن لم يرِدْ الا الشهامة موردا
ومن كان في روض الفضائل زهرةً وفي فلك الاحسان والنبل فرقدا
ومن كان للدنيا والدين جامعاً وما بين اهل العصر والله مفردا

يبيت لياليه بطرفٍ مسهدٍ لنصرة مظلوم يبيت مسهدا
وكم طلعت جند الخطوب فردها وسل من الراي الصقيل مهندا
وكم بعدت عن ذي ثباتٍ وهمة مطالب مذ قابلته بتن سجدا
او يقات مغناه مقرٌّ عوارفٍ ومجلسه للعلم والفضل منتدى
تخلف مسروراً وخلف بيننا فعالاً لكعب الحمد قد اصبحت فدى
بها قد ثوى طي الجوارح منزلاً وحلَّ على هام السما كين مقعدا
له في الملاذ كرّ هو المسك ساريا اذا فاح ما بين الشفاه مرددا
يضوع لنا منه اريج مآثر تبدّت من الكف التي فضلها بدا
عهدناك يا شبل الاسود غضنفرا تدين له الآساد مثنى وموحدا
يؤمك مستجدٍ فيلفيك منهلا ويأتيك مستهدٍ فيلقاك مرشدا
وقد كنت للآلاء والبر فاعلاً اليه اغتدى المجد المؤثل مسندا
بكت فقدك الاوطان حين هجرتها ولاح لها يوم ارتحالك اسودا
وناح بها حزناً عليك معاشرٌ مدامعهم صبغت مراثي شردا
فمن مرتقي فخرٍ اليك قد انتمى ومن هائم بين البرايا بك اهتدى
ومن سادةٍ أضناهم بعدك الاسى لدن قام في احبائهم مترددا
أماثل لم يدروا سوى العز معقلاً وما لبسوا غير الكمال لهم ردا
ايا آل تلموق الكرام تصبراً على ما قضى الباري لكم وتجلدا
فان يمض عن هذي الربوع فقيدكم فآثاره تبقى وان يطل المدى

ولا غروَ ان يُكرم لدى الله وفدهُ فان التقى والبر ما قد تزودا
وما المرء الا الطيف يطرق في الكرى ويمضي اذا جيش الظلام تبددا
فمن لم يذق ذا اليوم كاس حمامه فسوف توافيه منيته غدا

وقال مرحباً بالمسيو باسيلوختروفو سكرتير الجمعية الروسية الفلسطينية سابقاً عند زيارته احدى المدارس

يا ربعُ تهْ بقدوم اشرف زائرٍ وانظم لهُ آيَ الثناء العاطرِ
فاليوم قد وافاك اكرم وافدٍ فحصلتَ منهُ على هناء وافرِ
مولىً من الروس الكرام قد انجلى فجلا العنا عنا بلطفٍ باهرِ
من حاز في ارض المغارب رتبةً طالت على اهل الزمان الحاضرِ
وسرى بارض الشرق ذكر كمالهِ فغدا يفوحُ نظير مسك ذافرِ
هو ذو الايادي البيض خترو فو الذي قد بات مرتدياً بثوب مفاخرِ
فطنٌ اذا استنجدتهُ في معضلٍ تلقاهُ افتك نظرةً من باترِ
فترى به الابصار طود جلالةٍ وترى بهِ الافهام بحرَ مآثرِ
يا خير من عضد المعارف ساعياً في نشرها اخذاً لها بالناصرِ
قد كنت قبل الآن ملء مسامعٍ والان قد اصبحت ملء نواظرِ
بك اشرقت هذي الديار مسرةً اذ منك قد فازت بيمٍ زاخرِ

وشحتها برد المسرة فانبرت | مختالة تهتز هزة فاخرِ
عفواً أيا مولاي حق لك الثنا | لكن على ايفاه لست بقادرِ
قصرت والتقصير شيمة عاجزٍ | لكن حلمك عن قصوري عاذري
حسبي الدعاء بحفظ ذاتك سيدي | ما قامت الخطباء فوق منابرِ

«»«»«»

وقال في مثل ذلك للمسيو نقولا انتشكوف من اعضاء مجلس الشيوخ في روسيا

نلنا المنى وبلغنا منتهى الأرب | فهللي يا ربى لبنان بالطربِ
لو كنتِ تدرين من وافاك لابتسمت | ثغورك الغر واصفقت من عجبِ
قد زارك اليوم من ذاعت مآثره | فاصبحت للملا اشهى من الشهبِ
شهم من الروس سامي القدر مشتهر | وهو الهمام السري الطاهر الحسب
من المغارب بدر زار مشرقنا | فقام يزهو باثواب الهنا القشبِ
يا عجباً له بدر تمٍ لا خسوف له | ونوره عن صروح الفضل لم يغبِ
قرّت بزورته الابصار واتشحت | ثوب السرور نوادي العلم والادب
تلك التي شيدتها في مرابعنا | جمعية الروس ذات المجد والرتب
يا كوكب الادب الاسنى ومن برزت | آثاره في سما الاحسان كالشهبِ
لو أنّ للشرق نطقاً يلتقيك به | لقام يهديك فرض الشكر عن كثبِ
لكنّ له من نداك الجم معذرة | وصمته اليوم يتلو أفصح الخطبِ

فدمت تجني ثمار العز مرتقياً ... اوج المعالي مدى الايام والحقبِ
ولتبقَ طول المدى جمعية عظمت ... وفضلها ذاع بين العجم والعربِ
جمعيةٌ رفعت اعلامها عُمَدٌ ... مثل الكواكب تجلو ظلمةَ الكربِ
لرائد الفضل اضحت خير منتجع ... وللعفاة نراها خير مُطَّلبِ
اداما الله ما لاحت بدور دجى ... مصونةً من عوادي الدهر والنوبِ
وزادها رفعةً بين الملا فبها ... نلنا المنى وبلغنا منتهى الأربِ

. . . . . .

وكتب مجيباً صهرهُ خزتلو الياس افندي الخوري
مالك عضو دائرة الحقوق الاستئنافية في لبنان
على قصيدة ارسلها اليه لما كان في عكا
مضمناً اياها المقابلة بين لبنان
وعكا ومختتماً اياها
ببعض نصائح

أَنأى وما رسم الديار بناءِ ... واغيبُ عنها وهي في احشائي
واسير عن لبنان وهو بمهجتي ... باقٍ فما سيري وما إسرائي
حيّاكَ يا لبنانُ هتانُ الحيا ... يا ارضَ كل شهامةٍ ووفاء
يا نزهةَ الالباب بل يا موطنَ الأحبابِ بل يا منبتَ الادباء
مني السلامُ على هضابك والربى ... وربوعك المأنوسةِ الغناء

وعلى ذويك وساكنيك تحبتي ... فعليهم شرعاً وقفت ولائي
قومٌ كرامُ النفس والاقوالِ ... والافعالِ والاجدادِ والآباء
اصحابُ كل عزيمةٍ شماء ماضيةٍ ... وكل سجيةٍ غراء
متفردون ببهمةٍ وبسالةٍ ... ومروءةٍ ونباهةٍ وذكاء
فكأنَّ عزة ارضهم خصتهمُ ... بين الأنام بعزةٍ واباء
وكأنَّ رفعة طورهم اجرت بهم ... مجرى الدماء محبة العلياء
يا حسنَ ذاك الطور بل يانعم ذاك ... التُربُ بل يا طيبَ ذاك الماء
هي جنةٌ في الارض طيبة الجنى ... حكم الالهُ ببعدها لشقائي
قد جار دهري بالبعاد فساءني ... فرطَ الصبابة بعد طول هناء
ولقد غدوت بغربتي في كربةٍ ... موصولةٍ بمرارةٍ وعناء
اقضي الليالي ساهراً متذكراً ... تلك الديار وصحبة الرفقاء
اتذكرُ الجبلَ الذي فارقتُـهُ ... يسبي النُهى ويقرُّ عين الرائي
ودَّعتُ فيه أقاربي ومعارفي ... وجميعَ اخواني واهل صفائي
فهجرتُ كل مُسامرٍ من بعدهم ... حتى القريض وكان إلف صبائي
ما كنتُ أحسب في نعيمي أنهُ ... سيكون هجري للجنان جزائي
ما كنت أحسبُ نني سأسير عن ... وطني الرحيبِ لموطن السجناء(1)

(1) اشارة الى قولهِ في القصيدة المرسلة بعد ان وصف لبنان وصفاً مستوفياً :

يا قاتل الله الليالي انها عاضت صفاء معيشتي بجفاء
قد غادرتني والقتادُ امرّتي ونوائبي زادي ودمعي مائي
كم بتُّ في شوقٍ الى ذاك الحمى ارعى نجوم القبة الزرقاء
حتى انثني منهُ ذات صيانةٍ تسبي القلوبَ بقامةٍ هيفاء
وبمنطق عذبٍ إذا أسمعتهُ أغنت حلاوتهُ عن الصهباء
الفاظها السحرُ الحلالُ ووجهها بدر الكمال يضيءُ في الظلماء
خصصتُ في حكم الهوى قلبي لها وقفاً لخلت جانبَ الاحشاء
لا بدعة في اكرم الاصهار ان يَمْتَنْ باكرم غادةٍ عذراء
فهو الكريم ابن الكرام وكم لهُ عند الأكارم من يدٍ بيضاء
اهدى اليَّ خريدةً من نظمهِ زيِّنتْ بكل طريفةٍ حسناء
جمعت من اللفظ اللطيف وبهجة — المعنى الظريف ورقة الانشاء
هي دُرَّةٌ من بحر علمٍ رائقٍ جلت بقيمتها لدى العلماء
أكرمْ بناظم عقدِها من فاضلٍ سامي المزايا ثاقب الآراء
متصدِّرٍ في سدَّة الاحكام لا يغريه الا نصرة الضعفاء
لا يختشي في العدل لومةَ لائمٍ ابداً ولا يهتزُّ للإطراء
ولهُ يراعٌ كالحسام وفطنة تجلو دُجى النكبات والارزاء

هذا هو الجبل الذي غادرتهُ في الارض مثل الدُّرَّة البيضاء
قد هان عندك ان رحلت مفارقاً عنهُ لمكةَ موطن السجناء

لا بدعَ يا إلياس ان اطرفتني   من سحر قولك آية البلغاء
فلأنت ذُو الأدَب الفريد وناهجُ الرأي السديدوصاحبُ الآلاء
فلدتني منك الجميل وانني   ما عشتُ لا اقوى على الايفاء
وزففتني حكماً ونصحاً باهراً   فيه نقلُ مدائحي وثنائي
ما أنت يا إلياسُ بالرجل الذي   تخفى عليه حقائق الاشياء
فسد الزمان فما ترى من صادقٍ   في اهله او منصفٍ بقضاء
وذووا الجهالة حيثُ كانوا في الملا   اعداء اهل العلم والفضلاء
كم بات في الدنيا لقوم سيداً   من ليس الا سيدَ الجهلاء
ولكم باهل الدين راعي بيعةٍ   ما كان يصلحُ راعياً للشاء
اني امتحنت بني الزمان فلم اجد   في مدعي الاخلاص غير رياء
ولأنت تعرفني وتعرف انني   ارعى العهود وقد خبرتَ وفائي
مني اليك قصيدة حملتها   شوقاً اذابت نارهُ احشائي
تهديك مني الفَ الفِ تحيةٍ   في الصبح والآصال والأمساء
وعسى يرد الله عهد مسرةٍ   ولّى فيجمع بيننا بلقاء

....

وقال في ختام مقالةٍ يصف بها اللبنانيين المهاجرين ويذم المهاجرة

وهل في البرايا مثل لبنانَ مرتعٌ   فيعتاض عنهُ اهلهُ وطناً بهِ

وايّ هواءٍ في الملا كهوائهِ ... واي ترابٍ في البلاد كتربهِ

هو الجبل المسعود بات منزّهاً ... عن الغمّ والاكدار من فضل ربهِ

فيا من اتاهُ لا تفكّرْ بغيرهِ ... ويا اهلهُ لا تألفوا غير حبّهِ

وقال يتغزّل في حسان لبنان وكان متغيباً عنه

على طور لبنان العزيز سلامي ... وحيا رباهُ صوبُ كلّ غمامِ

اليهِ اليهِ صبوتي وتشوُّقي ... وفي ساكنيهِ نشوتي وهيامي

وفي ربعهِ لا ريم وجرةَ والنقا ... ولوعي وما بي من جوى وغرامِ

رعى الله هاتيك الظباءَ روانعاً ... على هضبٍ من ارضهِ وإكامِ

لها في اعاليهِ مقامٌ وانما ... لها في قلوب الناس الف مقامِ

جآذرُ لكنّ الجآذرَ دونها ... بهاءً واشراقاً ولينَ قوامِ

تمايلُ عن مثل الرماح قدودُها ... وترشق من ألحاظها بسهامِ

هجرت لها عقلي وديني وصحتي ... واضحى صلاتي حبها وصيامي

وما لي سوى قلبٍ بها متولهٍ ... وطرفٍ بهتّان المدامع هامي

وبالٍ تولتهُ جيوش بلابلٍ ... وجسمٍ تولتهُ جيوش سقامِ

وكم بتُّ فيها ذاكراً متسهداً ... وليس لجفني مطمعٌ بمنامِ

وكم قمت اشكو ما اقاسي من الضنا ... فلم تفدِ الشكوى بيرهِ كلامي

أيا ظبيات الطور بالله رأفةً ... فقد انحلت ايدي الصدود عظامي

وحار بني جند الهوى بنباله — وطاعنني شخص الجفا بحسام
ابى الهجر إلا ان يكون منازلي — وأنكرت الاشواق غير صدامي
فاي ذنوب نحوكن اجترحتها — لتعرضن عني يابدور ظلامي
انادي ولكن ما لصوتي سامع — وادعو ولكن لا يجاب كلامي
فهلا ذكرتن العهود التي مضت — وما بيننا من حرمة وذمام
أو بقات كان الانس يجمع بيننا — ونلقى من الإسعاد كل مرام
فكم ليلة ضمت (بعاليه) شملنا — فكانت بأفق الدهر بدر تمام
وكم وقفة في ارض (زحلة) والمها — جلسن على ذاك الغدير امامي
وقد فاض (بردونيها) متدفقاً — فما كان احلى موقفي ومقامي
ويامنبع (الباروك) كم طال مكثنا — لديك وقد لذنا بظل خيام
وجئنا من الآمال كل محلل — وعفنا من الاوطار كل حرام
زمان تقضى والمنى تتبع المنى — وقد جذبت من سعدنا بزمام
وما شاب ذياك الصفا كدر ولا — تخلل ذياك الضيا بقتام
فوالله لن أنسى ولو بعد المدى — ليالي مرت مثل طيف منام
وقد كان فيها العيش أزهر باسماً — فساء قعودي بعدها وقيامي
ترى هل يجود الدهر من بعد بخله — وهل يرتوي بعد التلهب ظامي
اظل زماني بالمنى متعللاً — وكم بينها من كاذب وعقام
فيا فاتناتي أرحمن بالله مهجتي — وبردن مني بعض نار أوامي

لما كنَّ احلى لي واعذب مرشفاً على كبدي من كل كأس مدامِ
ورائحةٌ من قربكنَّ تفوح لي لا طيبُ عندي من عبير خزامِ
لقد كُويتُ من صدّكن اضالعي وبتُّ وفي احشايَ ايُّ ضرامِ
فرفقاً فان الرفق خيرُ فضيلةٍ وحلماً فان الحلم طبعُ كرامِ

. . . . . .

وقال في ﴿ ذمّ التقنع والتحجب ﴾

مِنَ الشهبُ المحاطة بالضبابِ يغيّبُ نورها قبل الغيابِ
تسير فلا نرى الا قدوداً تميس نظير اغصان الروابي
مكفنةٌ بغير النعش تسعى فتُدفن وهي من فوق الترابِ
لحا الله البراقع ان فيها اشدّ الفتك بالقلب المذابِ
تواري كل واضحة الثنايا وتمنع كل مشرقة الاهابِ
كأنَّ الغيدَ وهي مقنَّعاتٌ شموسٌ قد توارت بالحجابِ
كأنَّ الخود غطّاها لفاعٌ هلال الافق غطي بالسحابِ
كدرِ البحر في صدفٍ توارى ونصل السيف أُغمدَ في النصابِ

. . . .

فيا للغيد للعجب العجابِ ويا لغرورهنَّ بالاحتجابِ
يصنَّ جمالهنَّ حذار لومٍ وهل في الحسن قومي من معابِ
وهل خلق الجمال الله الا لنبصرهُ ونشكرَ بارتقابِ

لعمري ما التحجب غير كفرٍ ... بأنعمهِ وخلفٍ للصوابِ
فمزقنا للبراقع يا ظباءً ... رِتاعاً في الحشا لا في الهضابِ
اما يكفي المحب جواهُ حتى ... اضفتنَّ العذاب الى العذابِ
تجرنَّ عليه في صون المحيا ... كأن لم يكفهِ صونُ الرضابِ
كأنَّ مصابهُ شيءٌ يسيرٌ ... فزدتنَّ المصاب على المصابِ
أما تكفيه لوعتهُ ونارٌ ... تظلُّ بقلبهِ ذاتَ التهابِ
تلوِّعهُ القطيعة والتجني ... وتضنيه الصبابة والتصابي
ويُصبح في حنين واذكارٍ ... ويمسي في انين وانتحابِ
الا رفقاً ببهجته وعطفاً ... على جثمانه وعلى الشبابِ
وان يكن العقاب له خليقاً ... كفاهُ ما تحمَّل من عقابِ
فان الحلم شيمتكنَّ يا من ... لهنَّ مقرَّرٌ مُلك الرقابِ
فشققنَ البراقع ان عنها ... طهارتكن تبقى بالمنابِ
فما غير الفضيلة من حجابٍ ... وما غير الطهارة من نقابِ

واقترح عليه احد اصدقائه ابياتاً يرسلها مع شمعدان هدية الى صديق فقال

اليك هديةً يا نور عيني ... بدارك قد غدت عني تنوبُ
اذا ما ضاء فيها الشمع ليلاً ... وباتَ يهلّ مدمعها السكوبُ

فذاك صديقك الولهان اضحى لفرط هيامه وجداً يذوبُ

وكان راجعاً ذات مساء من النزهة مع صديق لهُ يدعى موسى فمرت بهم حسناء اسمها سلوى

فقال ارتجالاً

لما رجعنا وشمس الافق قد غَرُبَتْ وكان تيهُ الهوى بالغيدِ مأنوسا
لاحت لنا شمسُ حسنٍ قلت حينْ بدت هاتيك سلوى فأين المنُّ ياموسى

وقال في احدى الغواني اللواتي يستنزفنَ اموال شبان هذا العصر:

سأَلتهُ «صرف دراهمٍ» فاجابها خطأْ اردتِ فصرفها ممنوعُ
قالت فحُبيْ لا ينالُ لأَنهُ بتجردٍ عن عاملٍ مرفوعُ

وقال معمياً في عارف

لواحظهُ بدت ترمي سهاماً وتشبها ببهجةِ كل عاصي
وكنت بيدء عصياني لهذا الى تلَفٍ اصيرُ فما خلاصي

وقال مضمناً معنى طبيعياً

وشمس بهائه لما اضاءت ودمع العين في خدي سكوبُ
أصارته اشعتها ضراماً فأحرقني وصرت به اذوبُ
كطلٍ فاجأته الشمس لما تقلد درةُ الزهر الرطيبُ
فصار عليه ناراً احرقتهُ فواعجبي أمنْ ماءٍ لهيبُ (١)

وقال

منْ مجيري من سهام المقلِ ولُحيظات العيون النُجُلِ
فتكتْ بي وانا عن فتكها من دواعي حبها في شغلِ
ظبياتٌ رتعت في حللٍ بل بدورٌ برزتْ في حللِ
تقتلُ الصبَّ وتمضي مرحاً ذاتَ ادلالٍ كأنْ لم تقتلِ
حاكمات في الملا لكنها مذ تولت امرهم لم تعدلِ
كم بهذا الدهر دالت دُولٌ انما دولتها لم تَدُلِ
كتب الغنجُ على اعلامها دولةُ الالحاظ اقوى الدُوَلِ
ليس للعاصي قضاها مهربٌ منهُ في سهلٍ ولا في جبلِ
والذي تقضي عليه نافذٌ فيه ان يقبل وان لم يقبلِ

---

١ شبه احتراقه لدى رؤية وجه المحبوب باحتراق النبات المكلل بالندى اذا طلعت عليه الشمس صباحاً فحولت الندى الى نار تحرقه وهو من الامور المشاهدة طبيعياً

يا لقومي من تجني غادةٍ أوهنت صبري واوهت حيلي

أشعلت قلبي ولكن ما درت انها في قلبيَ المشتعلِ

ضاع رُشدي في هواها مثلما ضاع في كسب رضاها أملي

صاغها رب الورى مفردةً مثلها بين الورى لم يجبلِ

فبرا مبسمها من دُرَرٍ ولمَى مبسمها من عَسَلِ

وجهها بدرُ تمامٍ حولهُ ظلمٌ من شعرها المُنسدِلِ

ينجلي مزدريا بدر الدجى فوق قدٍ يزدري بالأسلِ

اوجد الله لها كل البها مثلما أوجد كل الوجد لي

سارت الامثال فيها مثلما سرتُ فيها مضوبا للمثلِ

ايها اللائم وجدا بالمها أقصر الشكوى وصبراً أجملِ

هو حكمٌ جائرٌ عش خاليا مثلما قد قيل او فاحتملِ

وقال في فتيان العصر وفتياته

الحمدُ لله مزيلُ الضرِ وكاشف الغم وجالي العسرِ

ثم على شبان هذا العصرِ وغيدهِ مني سلامٌ عطري

يحمل رياهُ نسيمُ الفجرِ

ارجوهم العفوَ على انتقادِ كتبتهُ يوماً على انفرادِ

لاقصدَ لي فيهِ سوى الارشادِ الى سبيل الحقّ والسدادِ

وذو النهى من شاء فيهِ عذري

* * * * * * *

فتياننا يا قومُ اصحاب الفطنْ   هم المُرجَّون لإصلاح الوطنْ
فالبحث في شؤونهم فرضٌ يُسنّ   على رجال الفضل في هذا الزمن
وكل عاقلٍ بعيدِ الخُبُرِ

يقضون جلَّ العمر في المكاتبِ   مجتهدين في اجتنا الرغائبِ
من نافعِ الأبحاث والمطالبِ   ومن لُغاتِ معشر الأجانبِ
أكرِمْ بها من بغيةٍ وذُخُرِ

بينَ فرَنسيٍ وطليانيٍ   وانكليزيٍ والمانيٍ
ثمّ فنونٌ هيَ كالحُليّ   من هندسيٍ وجيولوجيٍ
وفلسفيٍ كلُّهُ ذو قدَرِ

أمّا لساننا الحقير العربي   فدرسهُ عندهمُ لم يجبِ
لأنّهُ كان بماضي الحقبِ   لسانَ قومِ طيءٍ وتغلبِ
ومن حكاهمْ من رجالِ القفرِ

قد أكثروا في الصدِ والجفاء   لهُ فإنْ رأوكَ في المساء
حيّوا (بونسوارَ) بانحناء   كذاكَ (بونجورُ) بلا مراء
مقولةٌ قبلَ وبعد الظهرِ

أمّا أحاديثهم إن جلسوا   في محفلٍ فكلّها مجنّسُ
منوّعٌ بهِ السماع يأنسُ   مختلطٌ تطيب فيهِ الأنفسُ

من أكثر اللغاتِ حتى العبري

هناك (يا مونشار) بين الجملِ و(سان فاسون) تحكي صفير البلبل

(بردون) ياسادةُ فالعذر جلي

في ذا ا (بارول دونار) بلوغ مأملِ

وشدُّ أزرٍ وانشراحُ صدرِ

كم ملأوا كلامهم بالأجنبي لأنهُ ابلغ في التحبب

فأكملوا نقص اللسان العربي بكلماتٍ من لغات المغرب

مفقودةٍ منه لغير عذرِ ...

وهم لفرط درسهم والسهرِ قد رُزِئوا بحسرٍ في البصرِ

فما (العوينات) فويق المنخرِ الا لإبعاد مجال النظر

لا طلب الزينة يامن يدري

وإنَّ طول البحث في الفنون اضنى جسومهم ذوات اللينِ

لذلك اضطروا الى معينِ ليقفوا فاستعملوا (البستوني)

فليس في استعمالها من نكرِ

وعروة المعطف بالزهورِ زينت لدفع الهم عن صدورِ

مهتمةٍ بجلل الأمورِ مشغولة بالنافع الخطيرِ

لحل عقدة وكشف سرِ

هذي هي الاسباب بانت للورى فكل من شك بها او انكرا

فانه قد قال ميناً وافترى   وجاء ذنباً فادحاً لن يغفرا
بما افترى من كذب وهجر

كم صرفوا السهرات في الالعابِ   فاشترك الغيد مع الشبابِ
من دون كلفة ولا حجابِ   ودون «حضرةٍ» ولا «جنابٍ»
فلعبوا حتى بزوغ الفجرِ

ظلوا مكبين على الاوراقِ   بلهفة جلت وباشتياقِ
حول (الفلوش) حامت المآقي   فانه الممتاز في السباق
(والبلف) جالب الغنى والفخرِ

ما احسن (البوكر) عندهم لعِبْ   يحبه المرء ونعم ما يحب
سيان ان خسر فيه او كسب   او نال بعد الوله النحس جلب
فهو حليفه المفيد البشرِ

ومثله عندهم (البيزيكُ)   و(البكرا) ليس بها شكوكُ
ينشرح الرابح والشريكُ   صدراً بها او يكثر (التريكُ)
على الذي اضحى بها في خسرِ

هذا فتى العصر وذي احواله   دوماً عليها طبقت اعماله
مهما ضره تأخرت اشغاله   او بليت بخيبة آماله
ما دام من ذا الفن حاوي السرِ

تراه يختال كغصن البانِ   اثوابه كالزهر في نيسانِ

من (قهوة) يمضي الى (دكان) ليقتل الوقت مع الاقران

بذم زيداو يهجو عمرو

في فمه (سيكارة) عوجاء كبانة مالت بها الموجاء

تكسو يديه (گانه) البيضاء تفوح منه ريحـة ذفراء

فيملأ الجو اريج العطر

حديثه يشف عن اعجابه بنفسه وكل ما يما به

يطيل في الكلام عن اصحابه في كل بلدة وعن احبابـه

من كل ذي فضل و كل مثري

ان قلت (بسمارك) اجاب صاحبي وكم دعاني في دجى النوائب

او قلت (كاربيجي) اخو المواهب اجاب هذا الشخص من اقاربي

وكم من المال علي يجري

ناهيك ان حدث عن (اوربا) فكم يفيض الشرح فيها عجبا

يقول اني عشت فيها حقبا ولم ادع في ارضها مخبا

الا بمرآه جلوت صدري

يصف كل بلدة وناحية كانها اوطانه ذي الدانية

فليس تخفاه هناك خافيـة مع انه لم يأت منها زاويـة

ولا رآها قط طول العمر

كذاك الاستخفاف بالاديان يحسب من (موضة) ذا الزمان

فكل شهم عاقلٍ ذي شانِ   في قلبه (خميرة) الايمانِ
ينبذه القوم وراء الظهرِ

وسهر المرء على اشغاله   بعد شاهداً على ضلالهِ
ياويله من افترا عذالهِ   فالسن اللوام من امثالهِ
ترشقه طول المدى بجمرِ

ذي حالنا اضحت وبئس الحالة   تفضي الى موارد الوباله
سادت بها ما بيننا البطالة   وارتفعت بيارق الجهالة
فيالحالة الفتى المغترِّ

***** ******

ولننته الان الى الفتاةِ   وما لها من هذه الآفات
فذا مجال واسع الباحاتِ   منفرجٌ يسعُ كل آتي
كم اطلقت فيه جياد الفكرِ

فتاتنا ياقوم ذات التيهِ   جلّت عن التمثيل والتشبيه
فايُّ شيءٍ لم تكن تحويــه   مما غدت للغيد تبتغيهِ
مقتضيات عصرنا الاغرِّ

قد ربيت في أحسن المعاهدِ   ودرست اطايب القواعدِ
وحفظت نوادر الشواردِ   واكتسبت من غرر الفوائدِ
ما لا تضاهيه عقود الدر

صرفٌ ونحوٌ ورياضياتُ ومنطق ثم طبيعياتُ
وفلكٌ جغرافيا نباتُ وفوق هذا كله لغاتُ
مما نراه شائعاً في القطرِ

وتعرف النقر على (البيانو) معرفة تحلو بها الالحانُ
اذا تغنت مالت الآذانُ وسرت القلوب والاذهانُ
فاين من ذلك سجع القمري

بنانها في صنعة التطريز ماهرةٌ تاتيك بالعزيزِ
كم طرفةٍ اغلى من الكنوزِ بل من ثمين الذهب الابريزِ
قد صنعتها كفها في شهرِ

اما بفن الرسم والتصويرِ فلا تسل عن شانها الخطيرِ
تسبق كل راسم شهيرِ وتزدري بالماهر الكبيرِ
وكل صانع بعيد الذكرِ

وكم لها في الرقص من عنايهْ ومن مهارة ومن درايهْ
قد بلغت منه تمام الغايهْ فهي تبدو للعيون آيهْ
اذا انثنت مميلةً للخصرِ

اذا انجلت طلعتها في محفلِ كان لها صدر المقام الاول
فهي لكل ذاك بانت تعتلي تيهاً على افراد (جنس الرجلِ)
وكم بهم في السر اضحت تزدري

ناهيك عما عندها من (موض) قد ينقضي الدهر وليست تنقضي
فاليوم ليس كالنهار المنقضي في زيه والغد ايضاً يقتضي
زياً جديداً وكذا للحشرِ

فثوبها اليوم من الحريرِ عليه (كشكش من الزفيرِ)
ذو ذنبٍ وراءه مجرورِ كذنب الطاووس في التقديرِ
يكنس الطريق حين تجري

لكن غداً قد شاع تقصير الذنب فكل من خالفت الأمر وجب
احراقها حالاً بنيران الغضب ورميها بكل ويلٍ وحرب
لان ذنبها بعيد الغفرِ

ينبذها الحسان بالقساوه حالاً وينسبن لها الغباوه
وشدة الميل الى البداوه والتيه في مهامه الشقاوه
حتى تصير هدفاً للسخرِ

والقبعات امرها لا يغفلُ فشأنها المعظم المبجلُ
حلابها للغادة التجملُ فكاد رائيها بها يندهل
لما عليها من صنوف الزهرِ

يرى بها ناظرها حديقه ورودها ناضرةٌ انيقه
ازهارها بدقةٍ منسوقه لكنها من صنعة المخلوقه
لاصنع خالق الرياض الخُضرِ

في كل يوم لك من باريس　　جرائدتني عن الملبوس

وتذكرُ الازياء بالتجنيسِ　　فيالهِ خطباً على الفلوسِ

يجر دولة الغنا والفقرِ

هذا الذي قد حكَّم الافلاسا　　وجلب الضيق واشقى الناسا

لكن لدى فتاتنا لا باسا　　فهمُّها ان تتقن الالباسا

مهما ينل والدها من عسرِ

ولا تسل عن حرصها على المشدّ　　وكم تسوم الخصر من ضغط وشد

لتنجلي نحيلة هيفاء قد　　وتسلب الناس براها الرُّشد

مصطادة قلب المحب العذري

وليتها تعلم كم من الضررْ　　يجرُّ صنعها وكم يدني الخطرْ

فكم فتاةٍ قد غدت بين البشر　　بمثل هذا عبرة من العبرْ

وقد دهاها منه داء الصدرِ

تلك هي الرغبة في التحسنِ　　تجرع العذراء كاس الاحزنِ

وفاتها ان ليس من مستحسنِ　　غير الذي خلقه الباري الغني

وما حلا تصنعٌ لو تدري

وليس هذا كل ما في الجعبة　　فانما النكبةُ كل النكبةْ

في كل شنعاء مثال الكربهْ　　تريد ان تجلب منا الرغبهْ

بصبغ وجهها وصقل الشعرِ

فتستعير من دهان وطلا   مـا تبتغي فوزاً به بين الملا
لكنها هيهات ان تجملا   بل تنجلي كصنم قـد جبلا
من مائع الجير طلاء الصخر

لذاك قلّ عندنا الزواجُ   ولم يعد لسوقه رواجُ
داءٌ عقامٌ ماله علاجُ   الا اذا تبدل المنهاجُ
ولم يعد لما ترى من إثرِ

بواعثٌ تدعو لفرط النفقه   وتورث المرءَ الهموم المحرقه
من شرها الافكار باتت قلقه   ففضل الفتى الحياة المطلقه
على ارتباطٍ بقيود الامرِ

وههنا فلنختم المزدوجه   في وصف إعمال لنا معوجّه
والله نرجو عونه وفرجه   وان يقينا شرّ حالٍ حرِجه
وهو المرجى لصلاح الأمرِ

وقال في عيد الجلوس الهمايوني المأنوس مستطرقاً الى وصف ما يقام له من مظاهرات الاحتفال والاحتفاء في بيت الدين مركز المتصرفية اللبنانية

ما درت مثل عيدك الاعيادُ   يا جلوساً تقرّ فيهِ العبادُ
انت للدهر آيـةٌ تمّ فيها   للأنام الهناء والإسعادُ

أَلبستكَ الافراح حلةَ نورٍ   قد أعارتها وشيها الأمجادُ
أنتَ بين الأيام واسطةُ العقدوانت المُنى   وأنت المرادُ
كم رقبناك باشتياقٍ وتاقت   للقاك القلوبُ والاكبادُ
ياجلوسَ المليكِ حيّاكَ هتانُ   الأمانيْ وغيثها الجوادُ
بكَ يحيا فينا الحبورُ كما اضحت   * بعبدِ الحميد * تحيا البلاد
يا رعى الله عاهلاً قد رعانا   منه عدلٌ وحكمةٌ وسدادُ
وحمَى في سماء (يلدز) بدراً   بسناهُ للعالمين رشادُ
قد هدانا (سبعا وعشرين) في سُبلِ الأمانيّ   رأيُهُ النقّادُ
تنجلي من ضيائهِ ظُلَمُ الغمّ   وتُمحى بهِ الخطوبُ الشدادُ
عاهلٌ عمّتِ الأنامَ أياديهِ   فأنّى يحيطها التعدادُ
طالما قصّر البليغ عن استيفاءِ آلائهِ   وجفّ المدادُ
رتع الناس منهُ في ظلّ أمنٍ   وهناءٍ ما شابهُ أنكادُ
إن دهتْ دهماءُ المشاكل جلّى   مُبهمَ الأمرِ فكرُهُ الوقّادُ
أوْ تولّى بعضَ الامور اعوجاجٌ   بهداهُ يقوّمُ المنآدُ
أوْ ألمّ الفسادُ يوما بقومٍ   زال في حزمه المتين الفسادُ
اواصابت جسمَ السلام جراحٌ   كان من عزمه الصقيل الضمادُ
خصّهُ الله من ذكاءٍ واقدامٍ   بما لم تفزْ بهِ انداد
وحباهُ الملكَ الذي شيّدتهُ   بالعوالي وبالقنا الأجدادُ

فأبان الاصلاح فيها جلياً   لا ترى انكاراً له الحساد
ارسل (البرق) في البلاد فضحت   بسناه تقرب الأبعاد
واسار (القطار) يعدو حثيثاً   فغدا للعمران فيه ازدياد
وأرانا من اختراعات هذا العصر   ما فيه نجحنا يستفاد
وعلى انقاض الجهالة للآداب والعلم   قد أقيم العماد
فازدهت دولة المعارف وانتاب   صروح الجهل الطوال انهداد
تلك آثاره فلو صمت الأقوام   عن مدحهن صاح الجماد
جادك الغيث يا (فروق) فكم حام   على ربعك المفدى الفؤاد
حيث عرش المليك قام وقد حاطته   من املاك العلى اجناد
حيث غص (البوسفور) في بارجات   راسيات كأنها اطواد
وعلى جانبيه تبدو جيوش   جاثمات كأنها آساد
تقهر الباسل العنيد فلا تدنو   اليك الأعداء والاضداد
أنت قطب الدنيا فلا (مصر) نالت   شأوك المرتقي ولا (بغداد)
انت عين الزمان كم صبت العين   لمرآك واعتراها السهاد
فيك ملك بحبه هامت الأنفس   منا وقد تناءى البعاد
ودهانا وقف عليه فلا   نرجع حتى تضمنا الاتحاد

. . . .

آل (لبنان) عن هوى الملك   ما انفكوا وعن شرع حبه ما حادوا

جده فائض عليهم فكلٌ   في رضاه بروحه جوادُ
هم قد عوّدوا هواه وما للمرء في الدهر غير ما يعتادُ
خلت عيد الجلوس ان ذاك يوم الحشر فالطور مائل ميادُ
والوف الاهلين ماجت (بيت الدين) يحلو لها بها الانشادُ
كلما زادت في النشيد دعاة   رددت صوتها الربى والوهادُ
ما احيلى الفرسان حين تباروا   في فناها بهم تخب الجيادُ
مثلما يفعلون حباً بتأييد لواء الملك يوم يصلى الجلادُ
أولم تعتنا المشاهد اذ صفت — بهاتيك الباحة الاجنادُ
جمعت في ظل (الهلال) تنادي   هكذا هكذا يتم اتحادُ
ثم اضحى صوت البنادق يدوي   فتجيب الاغوار والانجادُ
يومض البرق لمحة كشهاب   ثم يتلو وميضه الارعادُ
فتعالى من الدخان ضباب   حاجب السماء منه انعقادُ
ساعة مثلت لنا كيف قهر الخصم اذ تورى للحروب الزنادُ
صاح قف بي اذ ظلمة الليل وافت   فجلتها الاضواء والاقنادُ
أزدرت الارض بالسماء فشهب الأفق مما على الثرى حسادُ
وكأن الارض استهانت بتلك الشهب حتى رامت لها اصطيادُ
فاسلوت افاعي النار في الافق فثارت الى العلى تتطادُ
ثم عادت على الثرى ناثرات   شهباً لم تحط بها الاعدادُ

ليس بدعٌ ان لم يكن ذا ظلامٍ ... ذلك الليلُ حسبما يُعتادُ
فلعمري ان الظلام حدادٌ ... اوَ في هذا اليوم يلفى حدادُ
طربَ القلبُ فيه والثغر اضحى ... باسماً اذ جفا العيون الرُّقادُ
كلُّ ذا اجلالاً لعيد مليكٍ ... كلُّ ايام ملكهِ اعيادُ
فلهُ ضجي يا مواطن دوماً ... وبتأييده اهتفوا يا عبادُ
صانه ربي ما اضاء هلالٌ ... وليدم خادماً له الاسعادُ

وقال في مثل ذلك

ايه عيد الجلوس ياخير عيدٍ ... جادك الغيث من نهار سعيدِ
وحمى منك الله مجلى حميداً ... يتلالا بنور عبد الحميدِ
ملك دونهُ الملوك علاءً ... ومضاءً في كل خطبٍ شديدِ
وارتياحاً الى نجاح الرعايا ... واهتماماً بكل امرٍ مفيدِ
بات يرعاها في مروج الاماني ... بجنانٍ سامٍ ورأيٍ سديدِ
وجنانٍ ثبتٍ وعزمٍ وطيدٍ ... ومحياً طلقٍ وحزمٍ فريدِ
كم له في العباد من حسناتٍ ... شهدت عنه وهي ازكى الشهودِ
وآثرات لمخلص وشكورٍ ... باهرات عين الحسود الكنودِ
فهو الموقظ المعارف والآدا ... ب في الشرق بعد طول الخمودِ
وهو الناشر السلام وحاميـه ... فما يخشى من عدوٍ لدودِ

وهو القاهر العدى ومجلي ظلم الغم والعناء المبيد

تلك آثاره فهل نظرت مثلاً لتلك الآثار عين الجدود

يارعى الله ذلك العاهل المنصور رب الكمال رب الجود

بدر تم رأى (الهلال) سناه فاختبا من حيائه في البنود

ليث مجد به تحيط ليوث دونهم في الجلاد فعل الاسود

يرفق الفوز جيشه اينما سار وتعنو له جيوش السعود

دام في ظل العز عزاً لقوم قد اقاموا في ظله الممدود

وحباه الرحمن عمراً مديداً زاهراً في اكناف عيش رغيد

******

واقترح عليه نظم هذه الابيات لتقدم مع هدية الى حضرة المولى عبد العزيز صاحب مراكش

أهلال أفق المجد لا برح القضا للواء حكمك في البرية عاقدا

لو امكن القطر الذي قد سدته إيفاء مدحك لانثنى لك ساجدا

كم واحد تعنو الالوف لامره ولكم الوف لا تعادل واحداً

— ««« »»» —

وقال مهنئاً حضرة صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان المعظم بقدوم حضرة حرمه المصون وذلك بلسان ادارة جريدة لبنان

لقد فاز لبنان ببدر وزارة يضيء به عدلاً فصار سماء

وضاءت به ذا اليوم شمسٌ فضيلة فزاد بلقاها سناً وعلاء
فبدر ينير العالمين بحكمه وشمس تنيل الطالبين سخاء
قد التقيا فيه ولم نك قبل ذا نرى في العلى للنيرين لقاء
فيا سعد لبنان بباهي ضياها وزادهما ربي علاً وهناء

وقال مهنئاً حضرة الوجيه المصري عزتلو سليم افندي شحاده ترجمان قنصلاتو دولة روسيا الفخيمة في بيروت بشفائه من اعتلال طرأ عليه

لتهنك مولاي السليم سلامةٌ بها القطر مخضل الجناب وسيمُ
بليت بداء اقلق الناس كلهم فكل به مضني الحشاء سقيمُ
وما اعتل يا مولاي جسمك وحده ولكن قلوبٌ جمةٌ وجسومُ
فشكراً لمن اولاك عاجل برئه الهٌ عميم المكرمات رحيمُ
وحمداً له بل الف حمدٍ على الذي حباك به فالفضل منه عظيمُ
فدم رافلاً في ثوب امنٍ وصحةٍ اخا المجد لا تدنو اليك همومُ
وما دمت مسروراً سليماً فكلنا بشخصك مسرور الفؤاد سليمُ

وقال يرثي احدى السيدات

لعمرك ان كل الناس رهنٌ لارزاء الردى منذ القديمِ
يمر المرء في الدنيا كطيفٍ فيدهمه بها جيش الهمومِ

وقد تتفاوت النكبات قدراً فليس حقيرها مثل الجسيمِ
صغير الخطب يُقنعه صغيرٌ ولا يرضى العظيم سوى العظيمِ
الا يانكبةً طرأت علينا فاصلت في الحشا نارَ الغمومِ
فقدنا ربةَ الاحسان فيها وذاتَ المجد والحسب الصميمِ
مضت ولها بنا غرر الايادي وآثارٌ اضاءت كالنجومِ
يضوع لذكرها فينا عبيرٌ يطيب لنا ويسري كالنسيمِ
لئن تكُ فارقت ارض البلايا فقد حلت بجنات النعيمِ
تقيم هناك في خير جزيلٍ وترتع في هناءٍ مستديمِ

وقال مهنئاً العلامة السيد غريغوريوس حجار مطران عكا على الروم الكاثوليك بارتقائه الى السدة الاسقفية

الصحف تنطق والمنابر تشهدُ حقاً بانك للرئاسة مفردُ
ما لاقي غيرك لاستلام شؤونها ابداً ومثل كمالكم لا يوجدُ
ياسيداً سطعت اشعة نُبله بين الانام وفضله لا يُجحدُ
انت الجدير بما بلغت من العلى وبقبة الإفضال انت الفرقدُ
لقد اصطفاك الله ترعى ملةً بعلاك قد اضحت تعز وتسعدُ

فعليه القيت الرجاء توكلاً … ومن ارتجى بالله فهو مؤيدُ
واجبته وطلبت فيها عونه … وهو المعين الطالبيه المرشدُ
فاهنا كما نال الهناء بك الورى … وابشر باسعاد فربك يعضدُ
ولتهنأن رعية بك احرزت … اضعاف ما كانت تروم وتقصدُ
تلك الرعية مذ وفدت ربوعها … اضحت جيوش غمومها تتبددُ
كانت على مثل السعير بنأيكم … تشكو البعاد ونارها تتوقدُ
فالان اطفأت الغليل وابشرت … اذ عدت تسعدها وعودك احمدُ
وطلعت مثل البدر بعد غيابه … فانزاح ليل الحادثات الاسودُ
بشراً لها ظفرت باشرف مقصدِ … من بعدما قد عز ذاك المقصدُ
ولقد اتاها اليوم راعيها الذي … كانت تحنُّ الى لقاه الاكبدُ
حبرٌ بطاعة ربه متجمل … يهدي الى سبل الصواب ويرشدُ
بحرُ البلاغة ان تسنم منبراً … فكلامه منه يفيض العسجدُ
واذا دهت دهم المشاكل فلها … من رايه الماضي الصقيل مهندُ
برٌّ تقيٌّ لا يميل الى سوى … حب الاله وغيره لا يقصدُ
قرعت محامده المسامع كلها … وبكل نادٍ ذكره يترددُ
يا ايها الحبر الذي افتخرت به … هذي الديار ومثلهُ من يحمدُ
اثار حزمك في البلاد عديدة … وصفاتك الغراء ليس تعددُ
كم قد تباهى المنشدون بمدحها … عبثاً فما وفَّى ثناءك منشدُ

واليك ابنانيــة عربيةٌ | تاهت بعقدٍ من ثناك ينضدُ
فاذا حوت منك القبول فانه | شرف يغض الطرف منه الحسدُ
عفوًا لها مولاي عن تقصيرها | كرمًا ومثلك عفوه لا يعدُ
وادامك المولى بارغد عيشة | وضياء رايك للرعية مسعدُ
وبقيت بالاجلال ما هبت صبا | سحرًا وما قام الهزار يغردُ

*****

وكتب الى نسيبه الاديب صموئيل افندي
عطيه في السودان

يا نيلُ قد فاضت دموعي نيلاَ | شوقًا لمن بحماك بات نزيلاَ
اضحى بواديك الخصيب منعمًا | وببعده جسمي يذوب نحولاَ
يا نيلُ ان يكُ في رباك مقيلهُ | فلهُ فؤادي قد خصصت مقيلاَ
وامام عيني لا يزال ممثلاً | في كل آنٍ شخصه تمثيلاَ
اصبو اليهِ كلما هبت صبا | وجرى نسيمٌ بكرةً واصيلاَ
واحن للارض التي قد أمها | واودُّ ربعًا ودَّ فيه حلولاَ
وبمهجتي يا نيلُ من حرّ الجوى | نار الخليل لمن الفت خليلاَ
لو فاض في احشاي ماؤك كلهُ | ما اطفأت منها المياهُ غليلاَ

قالوا السلوّ ومن كمثلي يبتلي   هل يستطيع الى السلوّ سبيلاَ
رحل التصبرُ عن فوادي تندما   رامَ الحبيب عن الديار رحيلاَ
ولقد نأى عني المناة لنأيهِ
وتخذت عن صفوي الشقاء بديلاَ
فارقتُ طيبَ العيش منذ فراقهِ   وغدوت من فرط الاسى متبولاَ
كم مرَّةٍ ناديت يا صمويل من   وجدي ومن لي ان ارى صمويلاَ
امدٌ بعيدٌ بيننا ومراحلٌ   قامت جبالاً وَعرةً وسهولاَ
مني اليك ايا حبيب خريدةً   هيفاء غانيةً تجر ذيولاَ
حملتها وجدي وقد أرسلتها   بحديث اشواقي اليك رسولاَ
يا صاحباً ألف الوفاء وقد غدا   حفظ العهود لمامهِ اكليلاَ
ان كنت عني قد فصلت فلم يزل   حبلي بحبلك يا أخي موصولاَ
او كان هذا البعد حوّل انسنا   فالود ليس بقابلٍ تحويلاَ
اهديك ماغنى الهزار تحيةً   حراء يحملها النسيم بليلاَ
وادامك المولى باوفر نعمة   ترقى العلاء وتبلغ المأمولا

الارتقاء العلمي

وهي القصيدة التي انشدها في حفلة الجمعية الخيرية الارثوذكسية البيروتية التي عقدتها في دار مدرستها الكبرى (الثلاثة الاقمار) مساء الجمعة في ١٤ و٢٧ حزيران سنة ١٩٠٢ ليلة جرى الاكتتاب لبناء مدرسة عالية مالية

مرحباً بالكرام اهل الحمية ... والمعالي والغيرة الوطنية
سادة الفضل والكمال وانصار الترقي والنهضة الادبية
بسجاياهم يا يراعُ تغزّلْ ... لا بهندٍ ذات البهاء ومية
وبآثارهم ترنم وفاخر ... لا بآثار اعصُر الجاهلية
اين من فضلهم وبيض اياديهم غرّ المآثر الحاتمية
اين منهم رجال طيٍ وقومٌ ... نبغوا في القبائل العربية
ههنا ههنا الشهامـة والآداب والمكرمات والاريحية
ربعنا اليوم ضمّ كل سريٍ ... كاملٍ من ذوي النفوس الابية
دار اقمارنا الثلاثة ضاءت ... بمئات الاقمار هذي العشية
فعليهم قف الثناء وفيهم ... صغ لآلي القريض يا ابن عطية
ولاهل الخير الاولى شرّفونا ... اهدِ شكر الجمعية الخيرية
صانهم ربي من صروف الليالي ... وحماهم من شر كل بلية

****

صادقي ان العلم للعقل زينٌ ... فبه ترقى المدارك البشرية
قد قصدت الكلام عنه لأني ... شمتُ فيكم له شموساً مضيةْ
يارعى الله شرقنا ان فيه العلم قدماً نشا وكان فتيةْ
عاش طفلاً في مصر ثم تربى ... يافعاً في ربوع فينيقيةْ
وغذاه القبط اجتهاداً وبحثاً ... وتحذاهمُ بنو سوريةْ
كم رياضي قام منهم وكم من ... عالم فيهم كان يجلو الخفيةْ
وكفاني اقليدس العالم الصوري منشي القواعد الهندسية
وسواهُ من كل شهم همامٍ ... ذكره يزدري بالطيوب الزكيةْ
ان بيروت بلدة الفقه كانت ... لمريديه غاية الامنيةْ
ومغاني الاسكندرية فيها ... كان للفضل روضة عبقريةْ
ثم زالت تلك الصروح وولى ... يافعُ العلم من حمى اسيةْ
هم ربوهُ في صباه فلما ... شبَّ انضى الى سواهم مطيةْ

****

حل عند اليونان فاستقبلوهُ ... بمحياً طلقٍ ونفس رضيةْ
اكرموه واكرموا خادميهِ ... وانالوهم المعالي القصيةْ
فاغتدت اثينا محط رحالٍ ... لدعاة المبادىء الفلسفيةْ
كم حكيم قد قام يخطب فيها ... في ضروب المذاهب العقليةْ
ايهِ سقراط انت افضل شخص ... عاش في تلك الاعصر الوثنيةْ

قد عرفت التوحيد من دون هادٍ ... لك غير الظواهر الفطرية
ولتُخلَّدْ ذكرى ارسطو فكم قد ... نفعتنا اقواله الحكمية
دُرَرٌ في جيد الزمان ونورٌ ... في دُجى هذه الحياة الشقية
والكم سقراطٍ وكم من ارسطو ... قام في تلكمُ البلاد البهية
من ثقاتٍ محققين لهم في الحكم آيات بيناتٌ جلية
بحثوا في الافلاك والطب والتاريخ ابحاثًا باعتبار حرية

****

ثم بعد اليونان قد برَّز العُرْب بمضمار العلم والالمعية
شيدوا مُلكهم على اسس الاقدام بين الرماح والمشرفية
واستطالوا شرقًا وغربًا وصالوا ... في الملاتحت الراية الدينية
حيث ساروا ترى المعارف سارت ... معهم مستطيلةً محمية
رحم الله قادةً فيهم فاقوا فكانوا مثل النجوم الوضية
ليس يعمى عن فضلهم غير شخصٍ ... عينُهُ عن ضيا الشموس عمية
حسنات الشيخ الرئيس ابن سينا ... محصنَاتٌ بل معجزات سنية
وابن خلدون جاء تاريخه عن ... سير الغابرين خير هدية
كيمياء ابن جابر اظهرت اشياء كانت عن العيون خفية
وكفى العرب انهم غارسوا ادواح تلك الحديقة الجبرية
وكفاهم ما الفوه من الاسفار ذات الفوائد العلمية

يبدَ ان الكثير لم يتصدوا ... منهمُ للغوامض الفنيّة
قلما اهتموا بالفنون ولكن ... وَلعوا بالمسائل اللغويّة
كم اثار النحاة فيهم حروباً ... وبها ازعجوا جميع البريّة
ولكم شبوا بين زيد وعمرو ... فتنة كم فدا ذهبت من ضحيّة
قد قضى سيبويه من لسعة الزنبور هاتيك اللسعة النحويّه
والكسائي بات دون كساء ... وابن هشام هشمته الرزيّة
سقطوا والهفي عليهم صرعى ... بحراب العوامل اللفظيّة
لم يجرّ الشقا عليهم الا ... أحرف الجرّ فهي اصل البليّة
طلبوا الرفع انما لم ينالوا ... غير خفض في شر دنيا دنيّة

* * * * * *

هبط العربُ من علاهم وهبّت ... امم الغرب من كرى الهمجيّة
نهضت نهضة الاسود وجالت ... في رحاب العمران والمدنيّة
ودرت ان العلم اسُّ الترقي ... فانالته الفخر والاوليّة
بيدَ أنّ التقليد ظلّ مقيماً ... في حماها المذاهبَ الوهميّة
لم يزل هكذا الى ان تبدّى ... باكنُ الفيلسوف ذو اللوذعيّه
هوَ احيا المبدا الصحيح وافنى ... ما دعوه «الطريقة المدرسيّة»
ثم وافى من بعده حكماء ... اسسوا للعلوم داراً قويّة
رفعوا شأنها وقد طهّروها ... من غريب العقائد السفسطيّة

كامام الهدى نيوتن نبراس ذوي الفضل كاشف الجاذبيه
وكغاليلو الفرد اول من قال باثبات الدورة الارضيه
حرموه لانهم حسبوه قال بدعا او جاءهم بفريه
هكذا الوهم يملك الناس حتى يهزأوا بالحقائق المنطقيه
واذا هم لم يفهموها رموا فاهمها بالضلالة الكفريه
غير ان الصواب لا بدَّ ان يحيا ولو غالبتــهُ جندُ المنيه
وهوَ الحق يقهر البطل بالبرهان لا بالحراب والسمهريه

****

ظفر العلم واستضاء به الغرب واضحت منــه السماء نقيه
وتجلى فيــه جهابذة التحقيق اقطاب الجبلة الآدميه
كشفوا اسرار الطبيعة حتى لم يعد من براقع حندسيه
وافاضوا في كل نوع من الابحاث حتى لم يتركوا امنيه
ولعوا بالتدقيق في البحث لا غايةَ فيــه سوى وضوح القضيه
لا رياءٌ ولا محاباةَ فيه لا ولا تلقى بينهم عَصَبيه
لا فتورٌ لا خفةٌ لا تلاحٍ لا ادّعا لا محبةٌ ذاتيه

****

صاح دع تذكار القرون الخوالي وانتقل للبدائع العصريه
اين تلك العصور من عصرنا الزاهي بايات العدل والحريه

وبانواع الاختراعات مما ابدعته المعارف الغربيهْ
نحن في عصرٍ أدرك العلم فيه قمةً من طود الكمال عليهْ
قد ترقى شأواً عظيماً ولكن لا تقل أنه استتمَّ رقيهْ
فهو ينمو مادامت الناس بل ما برح الدرس ناشراً مطويهْ
كل يوم لنا اختراعٌ جديد هوَ غير القديم في الكيفيهْ
اهل هذا الزمان دانت لهم قوات كل العناصر الكونيهْ
هم قد انشأُوا جياداً من الرعد ومن انواء الغمام مطيهْ
ركبوا بالمياه متن مياهٍ دون كرب يخشونه او اذيهْ
وأراهم اضحوا يصيدون في الاقفاص اصواتهم فتحفَظ حيهْ
ويسيرون في الفضاء كطير قاطعين المراحل الجويهْ
سخروا البرقَ فانثنى طائعاً لا يتوانى عن خدمة مبغيهْ
بات مثل الرسول ينقل اخباراً ويطوي البحارَ والبريهْ
لو راى الاقدمون اعمال ابناهم لقالوا غرائبٌ سحريهْ
لا لعمري ما كان ذلك سحراً ان ايدي ابليس منه بريهْ
ليس من سحرٍ في الوجود ولكن تلك آيات الفطنةِ البشريهْ
تلك اعمال الحزم والعزم والإقدام والسعي والنهى والحميهْ
تلك آثار العلم ياصاحِ فاعلم ماله من فضيلةٍ ومزيهْ

**** *****

نحمد الله أننا في زمان فيه ضاءت أشعة المدنية
وشموس العرفان بعد اختفاها اشرقت في اقطارنا الشرقية
نحن في عصر اطلع النور فيه يمنُ «عبد الحميد» ملك البرية
صاحب التاج والخلافة والعرش المعلّى والحكمة اللدُنيّة
قمرٌ في سماء يلدز باه ضوؤه يشمل البلاد القصية
فرع عثمان يا له الله فرعاً نابتاً من ادواح مجدٍ زكية
هو محيي الاداب في قطرنا من بعد ان زالت منه بالكلية
بعد ان مات عصرا بث فيها نسمة حية فعادت فتية
ابد الله ملكهُ ووقاهُ من صروف الردى لخير الرعية
وحمى في حمى «الهلال» الهي جمعكم ياذوي الاكف السخية
وليدم ربي بالمسرة حبرا كاملاً فاضلاً كريم السجية
سيد منذ جاء بيروت بتنا نرتجي فيه نهضة ملية
حقق الله بالنجاح منانا وارانا النتائج المرضية
انما العلم اسُّ كل نجاحٍ ان ترافقه غيرة وطنية

وقال يهنئ سيادة العلامة السيد جراسيموس مسرة مطران بيروت وما يليها بابرشيته المذكورة

من لي باحصاء لآلي البحار	او غُرَرِ الحبر الرفيع المنار
واين مني مدحه بعد ان	قصَّر في شوط الثنا كل جار
يا طالما كنا الى وجههِ	نتوق فاليوم نقعنا الأوار
انار في بيروتنا بدرهُ	فانزاح ليل الغم لما انار
وبددت رؤيتهُ كربنا	وزال عنا كل غمٍ وسار
يا مرحباً بالسيد المرتجى	يا مرحباً بالمنقذ المستجار
علاّمة الشرق الهمام الذي	ثناؤه بين الأنام استطار
فليهنإ العلم برب النهى	وليهنإ الدين بشخص الوقار
هذا الذي انفق ايامهُ	في نصرة الايمان يحمي الذمار
هذا الذي اثاره في الملا	تسطع مثل الشمس نصف النهار
من كل سفرٍ كلهُ حكمةٌ	مزّق عن وجه الصواب الستار
آياتهُ نورٌ لأهل الهدى	لكنها في مهجة الضدّ نار
وكل فعلٍ حسنٍ صالحٍ	وكلّ قولٍ باهرٍ ذي اعتبار
هذا جرسيموس مولى التقى	في بيعة الله نراهُ المزار
كم اطربت انغامهُ مؤمناً	يأبى عن الاوتار غير النفار
وكم علا في محفل منبراً	فاسكر الناس بغير العقار

مسرة تحيي نفوس الورى بل نعمة تسعد هذي الديار
اكرم به من سيد فاضل يرجى لحل المعضلات الكبار
فهامة جم الأيادي له في مصر والشام بعيد اشتهار
يا ايها الراعي النبيل الذي قد بسم الثغر به واستنار
انا انطنا بك آمالنا انك منا ستقيل العثار
فقوم المنآد من امرنا بباتر العزم الصقيل الغرار
مولاي (بيروت) بكم قد زهت لابسة ثوب هنا وانتصار
وان (سوق الغرب) ماست بكم في طور لبنان ببرد افتخار
ابقاكم الله لنا كوكباً يهدي الى سبل التقى كل سار
ما وقعت ورق بروض الحمى وما تغنى سائر في القفار

وقال يهنئ سيادة العلامة السيد بولس ابي عضل
مطران لبنان حين قدومه
الى ابرشيته

هو البشر يحلو للفؤاد فيطرب ويملي على الشعر عفواً فاكتب
وهل مثل هذا اليوم يوم لمهجتي يروق به ورد القريض ويعذب
فيا قلبي قم مظهراً آية المنا
ففي كبدي ما ليس يخفى ويحجب

ويا سيدي ان ضقتُ ذرْعاً بمدحكم
فعفوكمُ المشهور في الناس ارحبُ

وحبكمُ بين البرية مذهبي — وكلٌ له في ما تعشّق مذهبُ
سجايا الهُ العرش خصّ بها الورى — فكان لكم منها البهيُّ المحبب
وكنتم لطول الباع والفضل والنهى — مثالاً تُقِرُّ العين فيه ونعجبُ
فيا حبذا منكم عفاف وحكمة — وجودة اخلاق ورأي مهذّبُ
ويا نعم ما اُمتزتم به من فضائل — تضمَّخُ افواهَ الملا وتطيّبُ
يقصرُ عن تعدادها كل واصفٍ — ويعجزُ عن ادراكها المتطلبُ
لقد تاهَ لبنانٌ هناء بوفدكم — وضاء به نورٌ وبُدِّدَ غيهبُ
طلعت به بدراً فزال عناؤهُ — ويا طالما قد بات سهران يرقبُ
ويا فرط ما عانى من الهم والاسى — لذ طال عن ارجاه منك التغيبُ
فبشراً لهُ قد نال فيك مرامهُ — وتمَّ له ما كان يرجو ويرغبُ

وسعداً لابناءِ الأُولى اشتد وجدهم
وقد شاقهم منك النوى ايها الابُ

لقد شربوا اذا اليوم كاس حبورهم — وحق لهم ان يترعوها ويشربوا
فمثلك من يزهو به الدين فاخراً — ومثلك من للامر يدعى ويُندبُ
ومثلك من يعنو لهُ الدهر صاغراً — ويحنى له في القوم هامٌ ومنكبُ
ومذ لاح في لبنان نجمك ساطعاً — سقاهُ من الخيرات واليمن صيّبُ

كما جاء بيروت المسرة قبل ذا   فنالت من الاسعاد ما هي تطلب
ترأستما شعبيهما وكلاكما   همام بعون الله ندب مجرب
فعش بالهنا يا بولس العصر راتعاً   وانت باثواب الصفاء مجلبب
لتملأ هذا القطر منك ما ثرٌ   بها نغنم النفع الجزيل ونكسب
فيشدو هزار الطور مدحك معلناً
ويفخر في علياك شرقٌ ومغرب
ففي شخصك المفضال تهدى لنا المنى   وتحرز اسباب الفلاح وتجلب
اراعي لبنان ثناؤك نشره   لشاعر لبنان مدى العمر مطلب
ولكن كفاني الان بث تهانئي   فادعو الى الباري الكريم واطلب
ادام المهي منك للدين كوكباً   ينير على الاوطان ما لاح كوكب

—✻✻✻✻✻—

وقال يرثي المرحومة مهيبة قرينة جناب الهمام الامثل

عزتلو ابراهيم بك الاسود صاحب جريدة

لبنان الغراء وانشدها على الضريح

دعاكِ ولكن ما اجبتِ دعاءهُ   ونادي ولكن ما سمعتِ نداءهُ
وأنّ وامسى باكياً ومعدداً   فلم ترحمي تعديده وبكاءهُ
الا فازيلي غمة فلطالما   بمنطقك الزاهي ازلتِ عناءهُ
الا فانظريه دامع الطرف نائحاً   فياطالما بددت عنه بلاءهُ

عرفتك يا ذات الوفاء حريصةً ... عليه فلا تبغين الا هناءه

فمالك قد اغمضت عينيك عن اسى ... يُقرّح عينيه ويجري دماءه

ومالك لا ترثين رفقاً لحاله ... ولا تبتغين اليوم الا جفاءه

ارى نار ابراهيم زاد لهيبها ... نواك فاذكت قلبه وحشاءه

وقد كان لا يخشى الخطوب وانما ... مصابك هذا اليوم هدّ عزاءه

فوالهفي أنّى يحجبك الثرى ... ويُنم من ذاك المحيا بهاءه

ولهفي على تلك الايادي فطالما ... بها بلغ العافي المقل رجاءه

ولهفي على ذاك العفاف وطيبه ... فلم يك صوب المزن يحكي نقاءه

فقدناك يا ذات المآثر والنهى ... فاظهر سيف الحزن فينا مضاءه

فقدنا بك المعروف والفضل والتقى ... وطهراً جزيلاً ما أجلّ سناءه

فقدنا بك الاحسان والبر والحجى ... فتباً لدهرٍ قد اطال اعتداءه

وقد كنت للآداب والدين موئلاً ... يممه العاني فيجلو شقاءه

وكانت اياديك الغزيرة منهلاً ... به يبتغي مضنى الزمان شفاءه

تعزَّ أيا مولاي والصبر فاتخذ ... نصيراً بهذا الخطب والبس رداءه

فانك ركن لا تميل قوامه

عوادي الردى مهما ارادت عداءه

حماك المهيمن من صروف ملمةٍ ... وابقاك بدراً نستمد ضياءه

وجاد ثرى من قد فقدنا بلطفه ... وانزلها جناته وسماءه

وقال في عيد المولد الهمايوني المأنوس

في ظل عبد الحميد الكون قد ذهبت اتراحه فهو بالآمال مُسعدُهُ
ملكٌ لدى عرشه العلياء خاضعةٌ وحول سدته الاملاك ترصدُهُ
جلوسه كان للإسعاد فاتحة كما افاضَ بجود اليمن مولدُهُ
مؤيدٌ بشعاع الله معتصمٌ بسبله وضياء الحق يرشدُهُ
لازال يحمي ذمار الامن منتصرا على العدى ويمين الله تعضدُهُ

وكتب الى احد اصدقائه في مرضه

صانك الله من صروف البلاء يا إمام الهدى وركن الوفاء
ايها الفاضل الفريد بحزمٍ ونشاطٍ وهمةٍ وإباء
حين قالوا عراك داء عراني من شجوني والغم اعظم داء
وتولى جسمي السقامُ فمالي غير بشرى شفائكم من دواء
ايها الخل انت مهجة جسم الفضل بل انت رُحلة الفضلاء
عشت دهرًا ممتعًا بحبورٍ وصفاء وغبطةٍ وهناء
وحباك المولى الكريم شفاءً عاجلاً فيه صحتي وصفائي

وقال ملغزًا في المدرسة

ياطالب العلم ما اسمٌ انت تعلمُهُ وحين يُذكَرُ تعليه وتكرمُهُ

قدنلت من فضله ما لست تنكره ومن فضائله ما لست تعدمه
ان تلقِ حديه فهو اسمٌ لديك مما
او بــدء هذا فنهرٌ قمت ترسمه
وان تكن تحذف الحد الاخير ترى
مدينةً نصفها في قلبه دمه
فأهدنا الحل يا من سار سبل هدى
وشكرنا لك اذ تدري نقدمه

—*****—

وقال في المحافظة على الوقت

الوقت اثمن كل كنز فاحتفظ خلي بـه لا باللهى والعسجدِ
كل النفائس تُستردُّ اذا مضت والوقت ليس بعائدٍ ان يفقدِ

—*******—

وقال في السيكارة اجابة لاقتراح احد الاطباء

يا محرقاً تلك النحيلة باللظى طمعاً بنيل القصد والاوطارِ
لا تبتهج لبلوغ فوزٍ عاجل فهي التي تسعى لاخذ الثارِ
عجباً الم تشعرْ بوطأة ثأرها وعليك منـه اوضح الآثارِ
بك نارُها أصلت ولا بدع فقد دل الدخان على وجود النارِ

***** ******

وقال معرباً عن الانكليزية ما كتبه فرنكلين الطباع الاميركي (مخترع قضيب الصاعقة) على قبره

هنا لقد طاب له الهجوعُ　　فرنكلين الطابع الوضيعُ
مثل الكتاب نُزعت صحائفهْ　　وذهبت عن وجهه زخارفهْ
ولم يعد منه سوى الغلافِ　　مشوهاً مهشم الاطرافِ
لكنه في قادم الزمانِ　　يظهر في طبعٍ جديدٍ ثاني
مُحسّنٍ مهذبٍ مثقفِ　　مصحح بقلم المؤلفِ

******

وقال عندما شاع خبر تفشي الطاعون في بيروت في اوائل صيف سنة ١٩٠٠

لا مرحباً بالزائر الجائرِ　　بل العدوّ الخائن الغادرِ
بل آفة الارض وسكانها　　من كابرٍ فيها ومن صاغرِ
بل غضب الله على خلقه　　ينزل بالبادي وبالحاضرِ
ما اقبح الطاعون من وافدٍ　　يُردي الورى بشرّهِ الوافرِ
كم بلد حل بــه عامراً　　فعاد عنه ليس بالعامرِ
صيّره قفراً فلا آهلٌ　　يبكي لذكرى امسه الدابرِ
وكم غزا قوماً بتياره　　فما نجوا بالصارم الباترِ
جرّد فيهم رمحه فاغتدى　　يطعن قلب البطل الظافرِ

فأتبع الاحياء موتاهمُ　　وألحق الحاضر بالغابرِ
سل عنه ارض الهند كم غالها　　من سيدٍ مستبسلٍ قادرِ
ومن عظيم القدر عالي القرى　　ومن لبيبٍ كامل طاهرِ
وهذه مصرُ لقد أمَّها　　فصال فيها صولة الكاسرِ
لا ينقضي يومٌ بلا نكبةٍ　　وسائرٍ يجري ورا سائرِ
واقرأْ تواريخ الأُولى قد مضوا　　وفتكه في الزمن العابرِ
تجدْ له ما انت في مأمن　　من شره في عصرك الحاضرِ
داهمَ بيروت على غرَّةٍ　　تعساً له من طارقٍ ماكرِ
فاجأها كاللص لكنه　　ليس بسلب المال بالفاكرِ
بل قصده سلبُ نفوس الورى　　لا يختشي من حارسٍ ساهرِ
يا ربِّ كن منه لنا واقياً　　فما لنا غيرك من ناصرِ
يا ربِّ لا تسخط لآثامنا　　وكفّرنا بفضلك الباهرِ
فهل لضعف العبد من مسعفٍ　　سواك او للاثم من غافرِ

ثم لم تمضِ مدة قليلة حتى تبين ان الاصابات التي اشتبه فيها ليست بالطاعون وان المدينة خالية من الوباء فقال

ألحمدُ لله الكريم على　　تفريجه الكربَ عن الخاطرِ
أرهبنا لكنه لم يشأْ　　ان يوصل الرعب الى الآخرِ
هدَّدَ بالطاعون لكنه　　لم يلنا حرصاً على القاصرِ

يا ايها الناس اعدلوا واتقوا ربكمُ فهو على الجائرِ
وما مضى فيـه لكم عبرة فاحترزوا من غضب القادرِ

* * * * * * *

وقال في بعض الكتبة

ياعاذلاً قرّاءه جملةً لجهلهم قيمـة ما يكتـبُ
بالله لاتكتب قصاصاً لهم وحرمهم يا صاح ان يطربوا

—*...*—

وقال في مثل ذلك

لو قام شخص أديبا ورأى مُقلّد ما نشرَ
لاختار حرقَ طروسه وبكى الدماء على «الدرر»

—*...*—

وقال في رجل يحامي عن مذهب دروين

اتاني صاحبٌ لي ذات يومٍ يقول علمتَ أنَّ القرد جدّي
فقلت له علمنا ذاك قبلاً فأبشر انت قردٌ وابن قردِ

—*...*—

وقال من قصيدة

يالقومي ما الدين لبس حريرٍ ورياءٌ وخسةٌ ومجونُ
وعقار الطِلا وحب الغواني وفعالٌ يحمرُّ منها الجبينُ

انما الدين عفـةٌ وصلاحٌ ومساعي خيرٍ وهَدْيٌ مبينُ
وعن المُنكَرات تنزيـه نفسٍ والى البر صبوة وحنينُ
ايها الناسُ اين نور الهدى فيكم اراهُ فما اراهُ دجونُ
واذا كان النور فيكم ظلاماً حالكاً فالظلام كيف يكونُ (١)

—✻✻✻✻✻—

وقال في اضطهاد الاميركان للزنوج واشار الى حادثة جرت من هذا القبيل وتناقلتها الجرائد

أأذنبٌ في لونه الاسودُ فتعذيبه عملٌ يُحمَدُ
واحدث في الكون امراً فرياً فايلامُهُ غرضٌ يُقصَدُ
وهل شكلُ جلدته زلةٌ فما انفك يُضرَبُ او يجلدُ
ألا عفوَ عن اثمـه يرتجى ولا مسعفٌ ثمّ او مسعدُ
فلا اللص مضطهد مثلهُ ولا الفوضويُّ ولا الملحدُ
رويداً بني العالم المُستجدِ فاين حنانكم المفردُ
رويداً بني النور والكهرباء ضياؤهمُ للورى يرشدُ
رويداً رجال النهى والعلومِ الأُولى عنهمُ فعلهم يشهدُ
رويداً دعاةَ الصلاح الذين عظاتهم الدر والعسجدُ

(١) تضمين للآية الانجيلية الشريفـة : اذا كان النور فيكم ظلاماً فكم يكون الظلام

رويداً فما شأن هذا الشقي　　يُعذَّب ظلماً ولا يُنجَدُ
ولا ذنب ياقوم اصلاً عليه　　ولكنـه هكذا يولدُ

****

لعمري َماسمع الناس قبلاً　　حوادث مثل التي تُسرَدُ
ولاعرف (الانش) اهل القفار　　ومن كان بارئـه يجحدُ
ولا قيل ان حبيساً بسجن　　هو الحصن للعدل والمعهدُ
لديه الجنود ومن حوله　　الوفُ جلاوزةٍ ترصدُ
يفاجئه القوم رأدَ الضحى　　وكف القضاة لهم تعضدُ
ويمضون جهراً به في الشوارع　　والخلق من حولهم يزبدُ
وشنقاً بسلك (التلغراف) يهلكُ َ لله ما ذلك المشهدُ
مع البرق قد طيروا روحه　　وكلهمُ مبرقٌ مُرعِدُ
وما ردهم حاكمٌ عادلٌ　　ولا صدهم عسكرٌ يحشدُ
ولم يثنهم حارسٌ قائمٌ　　على حفظ أمن الورى يسهدُ
ولا اكبر الناس ما اقدموا　　عليـه ولكنهم أحمدوا
ولا انكروا فئة قد جنت　　ولكنهم فعلها ايدوا
فإن قيل هذا اثيمٌ فقل　　أفي الاثم هذا الفتى مفرَدُ
أما سرق الناسُ من قبله　　ألم يفسقوا أوَلَمْ يعتدوا
اما في الملا سلطةٌ يا تقي　　عقوبتهُ عندها المفسدُ

ولكنهُ البغيُ حتى العبيدُ هُم السُّودُ والابيضُ السيدُ
وحتى المعالي حرامٌ عليهم مهما يجدُّوا وما يجهدوا
فلا يمنحون الوظائفَ في الحكم وهي الى غيرهم تُسنَدُ
وما امتاز غيرهمُ قطُّ عنهم ولكنهُ الاصلُ والمحتدُ

. . . . . .

ومن عجب أنَّ من يؤلمُ الكلـب فالعفوُ عن ذنبهِ يبعدُ
ومن عذَّب الخيلَ بالسوطِ ضرباً فبالسجن تأديبُهُ يعهدُ
ومن قتل الهرَّ تؤخذُ منه لحكامه ديةٌ تنقدُ
ومن لم يَبِنْ رفقه بالبهيمِ فانَّ عليه الملا يحقدُ
ولكنْ مَن يقتل السودَ يُثنى عليه ويمدحهُ المنشـدُ
أبالرفق تلك البهائمُ أولى ام القوم ضلوا فلم يهتدوا
الا حسبوا الزنجَ في السائماتِ فرقّتْ لحالهمِ الأكبدُ
الهي اهدنا نهجك المستقيمَ فإنَّ العبادَ لقد أفسدوا

. . . .

وكتب تحت رسمه

هو العمرُ كالطيف يمضي ولكن أرى الجسم يفنى ويحيا الأثرْ
فابقيتُ رسماً عن الجسم حتى اذا مضتَ العين تبقى الصورْ

مثل البلبل والحمار

« وهو مثل المنتصر للتقليد المقاوم كل ذوق جديد »

وبلبلٍ كان يشدو في روضةٍ ويجيدُ
فبينما هوَ يبدي انغامهُ ويعيدُ
وقد عرا سامعيه منهُ سرورٌ شديدُ
وكلُّهم بثناءٍ عليه أضحى يشيدُ
اذا الحمارُ ينادي يا قومُ ماذا النشيدُ
افٍّ لهُ فيه عيبٌ وذاك امرٌ اكيدُ
قالوا لهُ ايُّ عيبٍ اجاب: «لحن جديدُ»

مثل الهرة والكلب

« وهو مثل المتطاول على الاعلى منه ممن يقصر »
« عن ادراك شأوه »

تساءلت هرَّةٌ وكلبٌ أيفضُلان الضرغامَ أوْلا
فقرَّرا بعد طولِ بحثٍ أنهما بالتفضيل أوْلى
وقالَ هذا لولا انصياعي لما رضيتُ الضِّرغامَ موْلى
وتلك قالت لولا هزالي لكنت منه اشدَّ حوْلا
فقال قردٌ كان قريباً لا تنسيا سيديَّ لولا

بعض

ما نظمه من التواريخ

قال مؤرخاً وفاة موسى كزما في دمشق

قل للذي حل الضريح مغادراً نارَ الاسى مشبوبةً في الاكبدِ
خلدتَ ذكرك في تواريخ هنا ووصلتَ ياموسى لأرض الموعدِ

١٨٩٧

وقال مؤرخاً تجديد مدة دولتلو نعوم باشا متصرف لبنان السابق سنة ١٨٩٧

هنئت يا ركن الفخار بنعمةٍ اروت بشارتها من القلب الصدى
هي نعمة لك يا رفيع الشان قد وجبت نظير وجوب رفع المبتدا
أرجاء لبنان بفضلك قد زهت وقد انجلى عنها العنا متبدّدا
لما اتت بشرى التجدد ارخوا اضحى قديمُ سرورها متجدّدا

١٨٩٧

****

وقال مؤرخاً توجيه الرتبة الاولى الى جناب عزتلو حسن افندي بيهم

لقد ازدهى بفعالك الوطنُ وترنمت بثنائك الألسنُ

لكَ حكمةٌ في المعضلات أُسمت وشهامةٌ بالحزم تقترنُ
وكرامةٌ قد زادها شرفاً من اتى ممن له المِنَنُ
فاهنأ ايا رجلَ الزمانِ بما أُوليت وليهنأ بك الزمنُ
بمآثرٍ ارختها أُولٍ قد نال اولَ رتبةٍ حسنُ

١٣١٤

واقترح عليه احد اصدقائهِ تاريخاً لمولود اسمه فوزي واسم والده سليم . فقال

قَدِ ابتهجت جوارحنا بنجلٍ بديع الحسن فاز به السليمُ
سماتُ السعدِ قد لاحت عليه فضاء بها محيّاه الوسيمُ
غدونا نرتجي منـه هماماً تقرُّ بـه العيون كما نرومُ
نجئتُ مؤرخاً وابوه يدعو بشكرٍ قائلاً فوزي عظيمُ

١٨٩٧

وقال مؤرخاً توجيـه ولاية بيروت لعهدة عطوفتلو رشيد بك واليها السابق

قد تلت بيروت آيات المنا في حمى سلطاننا عبد الحميدْ
ونجومُ العز فيها ارخوا قد بدت مذجاء والينا الرشيدْ

١٨٩٧

وقال مورخاً توجيه الوسام المجيدي الثاني لحضرة صاحب السعادة الامير مصطفى ارسلان

هُنئتَ يا ركنَ المحامد والعلى ... بوسامك الزاهي الرفيع الشانِ
يابدرَ أُفق المكرمات وفخرَها ... قد فاح طيبُ ثناك في الاوطانِ
أَولاك سلطان البرية نعمةً ... طربَ البعيد بها وسرَّ الداني
فاهنأ بــه شرفاً جديداً زاده ... شرفٌ لكم من سالف الازمانِ
عم السرورُ به الانامَ واشرقت ... شمسُ الحبور على بني لبنانِ
ياواحدَ الفضلاء من ملكِ الورى ... ارخت قد نلتَ الوسامَ الثاني

١٣١٤

وقال مورخاً رجوع المرحوم المطران غفريل الى بيروت سنة ١٨٩٧ وقد وزع احرف اسمه على اوائل الابيات

غدا هذا الحمى يزهو فخاراَ ... بمن وافى وأَلبسهُ الوقارا
فحاكى قصرَ قيصرَ في علوٍ ... وضاهى بالمناعة دارَ دارا
رأى من فوقه حبراً كبحرٍ ... فنادى كيف حُمّلتَ البحارا
يضيءُ بعود غفريلٍ ابتهاجاً ... فقد اضحى بكوكبــه منارا
لقدلا زاهرٌ ارخه زاهٍ ... به قد تاه عزاً وافتخارا

١٨٩٧

وقال تاريخاً لقبر عبد الغني كبارة من طرابلس الشام

قبرٌ توسَّدَ فيه من اهل العلى   عبد الغني فنال وافرَ اجرهِ
جادت غيوثُ المكرماتِ رميمَهُ   عند الضحى ارخ وتربةَ قبرهِ

١٣١٥

—✻····✻—

وقال مؤرخاً زفاف شقيقته جوليا الى جناب عزتلو الياس افندي الخوري مالك

ياسميَّ الحي يهنيك قرانٌ قرينٌ   للهنا والظفرِ
زان اكليلك فيه درةٌ   لا تضاهيها جميعُ الدررِ
ذاك يومٌ باهرٌ ارخ به   زُفّت الشمس لابهى قمرِ

١٣١٣

ولك الدهرُ بتاريخٍ تلا   دم بانسٍ بالغاً للوطرِ

١٨٩٧

وقال ايضاً

ليهنك ياسميِّ الحي يومُ   تبلّج فيه نورٌ من كمالكْ
به التاريخ جاء يضيءُ بشراً   وصار لجوليا الياسُ مالكْ

١٨٩٧

—✻····✻—

وقال مؤرخاً ولادة نجلهما عزيز

يا حبذا قمرٌ اضاء ربوعنا | فخلا لكل الناظرين كمالهُ
من الإله به علينا فانجلت | ظُلَم الكوارث حين لاح جمالهُ
فابوه اضحى باسماً بقدومه | واهتزَّ من فرط المسرة خالهُ
قالوا له صفه فأرَّخ باسمه | يا حبذا القمر العزيز مثالهُ

١٩٠٢

وقال مؤرخاً بناء كنيسة القديسين بطرس و بولس في عين صوفر

غدا ذا المعبد السامي علاهُ | يتيه بنوره الباهي الوضوح
بناهُ آل مرسق من تساموا | بحب الخير والدين الصحيح
لعهد الحبر غفريل المفدّى | اقاموهُ بذا الربع الفسيح
فتمَّ بـه بتاريخ مقامٌ | يضيءُ بهاءتيْ رسل المسيح

١٨٩٨

وقال مؤرخاً بناء ضريح لعيلتي (كامل وحبيب)في قريـة وادي شحرور

الى الموتِ يسعى كلُّ من اصلهُ الثرى

وانَّ غداً للناظرين قريبُ

وحظُّ الذي ارختهُ حلَّ في السما

ثوابٌ بفاهٌ (كاملٌ وحبيبُ)

١٨٩٦

****

وقال تاريخاً لقبر الخوري جراسيموس قطيني رئيس دير القديس جاورجيوس في سوق الغرب

لحدٌ بهِ قد حلَّ اكرمُ كاهنٍ ... فقدتــه يبعثنا كما شاء القدرْ

تبكي الرعيةُ فقدَهُ طول المدى ... وعلى جراسيموس قدطال الكدرْ

ساس الكنيسةَ ثم سار مخلفاً ... فيها بطيب فعاله خير الاثرْ

ولقد مضى مذ ارخوه الى العلى ... فهناكَ قد لاقى اكاليلَ الظفرْ

١٨٨٦

وقال مؤرخاً زفاف حضرة الانسة مريم عواد الى حضرة الاديب الفاضل سليم افندي ابرهيم صادر صاحب المكتبة العمومية في بيروت

اليك اخا المحامد ذاتَ خدرٍ ... بها قد ضاء معهدُكَ الوسيمُ

كريمةُ معشرٍ من خير آلٍ ... يزين خلالها خلقٌ كريمُ
خصصت بها فؤادكَ وهي اهلٌ ... فنلت بقربها انساً يدومُ
سطورُ هناك بالتاريخ غرٌّ ... فمريم قلبها دوماً سليمُ

١٨٩٩

وقال تاريخاً لقبر ابرهيم والياس شحود من عكا

الياس شحود الى دار البقا ... ولى فاحرز في السماء نعيما
من بعد عامٍ ثم سبعة اشهر ... تبع الشقيق الذاهب المرحوما
طلب السماء فسار ارخه لها ... ولقد ثوى في حضن ابراهيما

١٨٩٩

وقال تاريخاً لقبر جرجس البهو الذي توفي قتيلاً في المدينة المذكورة

قبرٌ ثواه غصن بانٍ ناضرٌ ... تبكي العيون عليه ما لاح السحرْ
قصفته في شرخ الصبا يدغادرٍ ... ظلماً ولم يكُ في الورى ممن غدرْ
فعليه آلُ البهو امسى حزنهمْ ... كالنار يجرون المدامع كالمطرْ
لبسوا السواد عليه حزناً ارخوا ... لكن جرجس في العلى لبس الظفرْ

١٩٠٠

وقال مؤرخاً ولادة نجل لسليم افندي صادر دُعي جرجي

جاد الكريم على السليم فقلبه | طربٌ يتيه بنعمةٍ من قادرِ
اهداه نجلاً باهراً في حسنه | ملءُ الفؤاد وملءُ عين الناظرِ
هذا بشيرٌ بالسعادة واردٌ | لاجلّ بيتٍ صادرٌ من صادرِ
فاسعدْ ايا جرجي لأنك ارخوا | بالسعد آتٍ ياسميُّ الظافرِ

١٩٠١

وقال مورخاً اقتران حضرة الاديب نخله افندي طرزي بحضرة الآنسة سلمى ابي عضل

ياقراناً قد أشرق السعدُ فيه | وتجلّى الهناء والانس تمّا
فيه بدرُ الكمال زُفت اليه | شمسُ حسنٍ امنى الشموس واسمى
فتهنأْ يانخلةَ الفضل وانعمْ | باجلِّ النساء ظرفاً وفهما
هيَ خودٌ فريدة في المزايا | ولأنت الفريد علماً وحزما
هنا تك الادابُ فيها وقال الطهر بشراً بمن اتتك ونعمى
والكراماتُ حينَ أرختْ قالت | لك يا نخلةُ الهناء بسلمى

١٩٠١

وقال مورخاً اقتران نجيب افندي الخوري الحداد بالآنسة

ذكيه مصابني اجابة لاقتراح احد اصدقائهِ

يا خليلي لك الهناء بخودٍ قد تسامت بلطفها في البرية
هيَ ذاتُ الذكا وانتَ النجيبُ الباهرُ الوصفِ الفائقُ الالمعيّة
قد تشابهتما وما يعشقُ الإنسانُ الاَّ شبيههُ في السجيّة
ذاك أمرٌ مؤرخٌ ولهذا ما يريدُ النجيبُ الا الذكيّة

١٩٠١

وقال مؤرخاً انتخاب المرحوم ايفانيوس سمرا مطراناً لحلب على طائفة الروم الارثوذكس

لله صوتٌ دعا في جلّقٍ سحرًا فرنَّ منهُ هتافُ البشرِ في حلبِ
بهِ ايفانيوسُ الاريحيُّ غدا للاسقفية أرِّخ خيرَ منتخبِ

١٩٠٢

وقال مؤرخاً توجيه الوسام العثماني الاول الى غبطة البطريرك ملاتيوس وعدة وسامات مختلفة الى بعض المطارنة

يا حبذا نِعمُ السلطانِ وافرةً لملّةٍ بالدعا طول المدى جأرَتْ
غمرنَ احبارها فضلاً وبطركها فهلّلتْ طرباً والملكَ قد شكرت
آيات اخلاصها مذكورةٌ ابدًا كما اياديه في تاريخها ذُكِرت

١٣٢٠

وقال مؤرخاً عقد خطبة جناب الهمام الامثل عزتلو ابرهيم بك الاسود على المهذبة الآنسة املي حنا الشامي

رأي ابراهيمَ ارباب النهى ... أنزلوهُ في المقام الأوّلِ
ألمعيٌّ ما أتى من عملِ ... قبل أن أدرك حسن العملِ
رام من بين الغواني غادةً ... زانها اللطفُ بأبهى الحُلَلِ
قلتُ ايُّ العيد في تاريخهِ ... ثُرجي صاحَ هاذهِ أملي

١٩٠٤

✻✻✻✻✻✻

وقال مؤرخاً بناء كنيسة القديس جاورجيوس في دير قرية سوق الغرب

في دير سوق الغرب أفضل بيعةٍ ... رُفعت دعائمها على خير الأُسُسْ
قد شيدت بسخاء ارباب التقى ... وبسعي راعينا الهمام جراسموس
ينتاب باحتها الوفود مواكباً ... متطلبين مواهب الروحِ القدسْ
فاشفع بمن يأتي حماك مؤرّخاً ... يالابس الظفر الكريم جورجيوس

١٩٠٤

انتهى

﴿ تنبيه ﴾

قد وقع اثناء الطبع بعض اغلاط منها في صفحة ٦ سطر ١٥ «وفوك» والصواب «إزاه». وفي صفحة ١٣ سطر ٥ «قبة» والصواب «القبة» وفي صفحة ١٩ سطر ١٨ «ارجائهم» والصواب «ارجائها» وفي صفحة ٣٠ سطر ٧ «أعبدا» والصواب «عبدًا» وغير ذلك مما لا يخفى على القارئ اللبيب